عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة

قصيدة «في كل نادٍ منك روض ثناء» أنموذجاً

إعـداد

الأستاذة الدكتورة/ **عبير عبد الصادق محمد بدوي**

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية - جامعة الأزهر

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

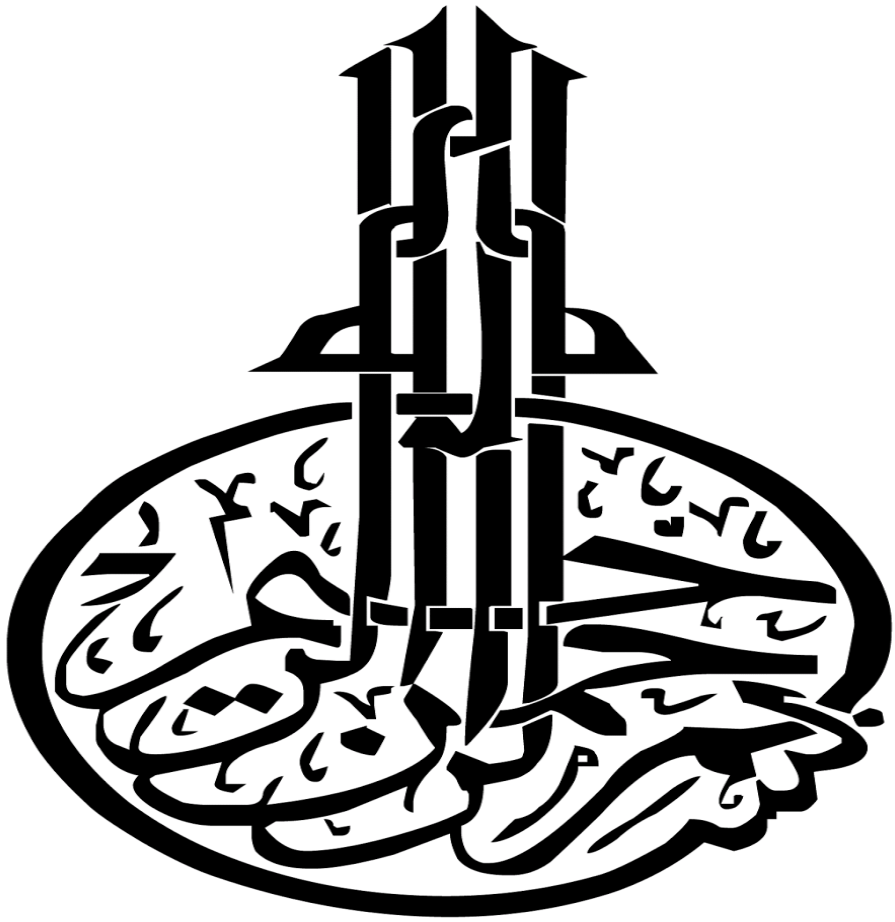

هَيهــاتَ! مــا في النــاسِ مِــن خالِــدِ لابُــدَّ مِــن فَقــدٍ وَمِــن فاقِــدِ (١)

(١) ديوان أبي فراس الحمداني، جمعه، سامي الدهان،١٣٦٣ه- ١٩٤٤م، ط/ المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية – بيروت- ج/ ٢، ٧١.

عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة
قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء" أنموذجًا.

عبير عبد الصادق محمد بدوي
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:
Abeer.Abdelsadek@azhar.edu.eg

الملخص:

حظي شعر ابن خفاجة الأندلسي بالكثير من العناية؛ خاصة شعره في وصف الطبيعة، وقد عنىٰ فيه بقواعد القصيدة العربية من حيث الشكل الفني، وقواعد الوزن والقافية، واهتم الباحثون بدراسة شعر الطبيعة لديه؛ إلا أن قصيدته التي دمج فيها بين وصف الطبيعة والرثاء"**في كل ناد منك روض ثناء**" لم تنل حظها من الاهتمام بدراسة فنية، تستقصي استخدامها للغة، وتحليل بنيتها الإيقاعية، وتبحث في تفاصيل الإبداع الفني وملامحه فيها، ودلالة كل ذلك؛ لذا خصصت هذا البحث لدراسة عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة من خلال قصيدة "**في كل نادٍ منك روض ثناء**" أنموذجًا. حيث يهدف البحث إلىٰ دراسة عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة من خلال قصيدته، وقد لفت نظري هذه القصيدة من جملة قصائد ابن خفاجة؛ لدمجه غرضين من الصعب دمجهما. ويسلك البحث المنهج الفني التحليلي الذي يرصد النص الشعري ويحلله، للوقوف علىٰ جمالياته، وأبعاده. ومن أهم نتائجه أن ابن خفاجة أجرأ من أقدم علىٰ هذا الضرب الجديد من مزج الطبيعة بالرثاء، فدمج المرح والفرح بالحزن والبكاء، مما يُعد تطويرًا وتجديدًا لقصيدة الرثاء.

الكلمات المفتاحية: عناصر، الإبداع، الفني، ابن خفاجة، ناد، روض، ثناء.

Elements of artistic creativity in Ibn Khafaja's poetry The poem "In every club from you there is a kind of praise" is an example

Abeer Abdel Sadiq Mohammed Badawi
Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arab Studies for Girls, Alexandria, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: Abeer.Abdelsadek@azhar.edu.eg

Abstract:

The Andalusian poetry of Ibn Khafaja received a lot of attention. Especially his poetry describing nature, in which he focused on the rules of the Arabic poem in terms of artistic form, and the rules of meter and rhyme. Researchers were interested in studying his nature poetry

However, his poem, in which he combined descriptions of nature and lamentation, "In every club from you, there is a kindergarten of praise," did not receive enough attention from an artistic study that investigates its use of language, analyzes its rhythmic structure, and investigates the details of artistic creativity and its features in it

And the significance of all this; Therefore, I devoted this research to studying the elements of artistic creativity in Ibn Khafaja's poetry through the poem "In Every Club of You is a Garden of Praise" as an example

The research aims to study the elements of Ibn Khafaja's artistic creativity through his poem. This poem caught my attention from among Ibn Khafaja's poems. It has two purposes that are difficult to combine. The research follows the analytical artistic approach, which monitors and analyzes the poetic text, to determine its aesthetics and dimensions.

One of its most important results is that Ibn Khafajah was the boldest person to attempt this new type of mixing nature with lamentation. He combined fun and joy with sadness and crying, which is considered a development and renewal of the poem of lamentation.

Keywords: elements, creativity, art, Ibn Khafaja, club, training, praise.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، سيدنا محمد- ﷺ- وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

يهدف هذا البحث إلىٰ دراسة عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة من خلال قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء"، وقد لفتت هذه القصيدة نظري من جملة قصائد ابن خفاجة؛ لدمجه غرضين من الصعب دمجهما. فابن خفاجة شاعر الطبيعة الأول في الأندلس-كما اشُتهر عن الشاعر وغلب عليه -

فما عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة؟ ولماذا دمج ابن خفاجة بين هذين الغرضين؟

وقد انطلق البحث من عدة تساؤلات، تمثلت في الآتي:

- ما عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة؟
- ما الإضافات التي أضافها ابن خفاجة لعناصر الإبداع الشعري في قصيدته؟
- هل اختلفت عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة عن غيره من شعراء الأندلس؟

وكان من أسباب اختيار موضوع هذا البحث:

- إعجابي الشديد بالأدب الأندلسي بصفة عامة، وشعر ابن خفاجة بصفة خاصة .
- شخصية الشاعر واعتزازه بشعره، وصدقه الفني في التعبير عن حزنه، فشعره ينم عن هواية، ويبعد عن التكسب، فهو شاعر أهل للبحث والدراسة.
- توضيح قدرة الشاعر علىٰ ربط غرضين متعارضين.

أهمية البحث:

كشف عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة من خلال قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء" أنموذجًا.

أهداف البحث:

يسعىٰ هذا البحث الموسوم بـ(عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء" أنموذجًا). إلىٰ تحقيق أهداف منها:

أولًا: الوقوف علىٰ عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة من خلال قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء".

ثانيًا: تحديد الأطر الفنية والأساليب اللغوية التي امتازت بها القصيدة في النص الشعري في العصر الأندلسي عند شاعر عربي يمثلها في طور من أطوارها.

ثالثًا: توضيح بنية القصيدة الشعرية عند الشاعر، وما تمتاز بها من قيم جمالية متمثلة في اللفظ واللغة والصورة والموسيقا.

رابعًا: إبراز دور الطبيعة عند الشاعر، بحيث شكلت جزءًا مهمًا من الثقافة العربية في- التراث العربي، وتراث الأندلس خاصة- والتي انعكست بصور شتىٰ في النتاج الشعري لدىٰ الشاعر بشكل عام، وفىٰ القصيدة موضوع البحث بشكل خاص.

الدراسات السابقة ومصادر البحث:

أما الدراسات السابقة، فلم أعثر علىٰ دراسة أكاديمية شاملة متخصصة، عالجت موضوع هذه القصيدة في شعر ابن خفاجة، وهذا ما يمنح البحث قصب السبق، وإنما ثمة دراسات وأبحاث وكتب عرضت لشعر ابن خفاجة من جوانب مختلفة، أفدت منها، ورصدتها في قائمة المصادر والمراجع. ومنها:

١- **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ط/ منشأة المعارف – الإسكندرية- ط/ ١٩٦٠م.

٢- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د/ إحسان عباس، ط/ دار صادر – بيروت- ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

٣- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة -١٣٥٨ه-١٩٣٩م.

٤- **الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه**، إميليو غرسية غوس تعريب د. حسين مؤنس، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر، ويطلب من مكتبة النهضة المصرية – القاهرة- الأولىٰ ١٩٥٢م.

٥- ابن **خفاجة شاعر شرق الأندلس**، د. حسن محمد نور الدين، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الأولىٰ ١٤١١ه- ١٩٩٠م.

من هذه المصادر والمراجع استقيت أخبار ابن خفاجة، وقمت بتجلية عناصر الإبداع الفني في النص الشعري عنده.

الصعوبات:

- ندرة المصادر والمراجع التي عالجت القصيدة.

منهج البحث:

اتبع البحث المنهج الفني التحليلي الذي يرصد النص الشعري ويحلله، للوقوف علىٰ جمالياته، وأبعاده. كما استعنت بالمنهج التاريخي في الحديث عن الشاعر وعصره.

هيكلة البحث:

قسمت البحث إلي مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، تناولت في **المقدمة**: أهمية البحث، ودواعي اختياره، والمنهج الذي اتبعته، والدراسات السابقة، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، وجاء **التمهيد**؛ ليلقي بعض الضوء علىٰ حياة الشاعر، من حيث اسمه، وكنيته، ولقبه، وولادته، ونشأته، وشيوخه، وعلاقته بأهل زمانه، وشعره، ووفاته. وألقيت الضوء فيه علىٰ مكانة شعر الطبيعة عند ابن خفاجة.

وتناول المبحث الأول: " بنية القصيدة عند ابن خفاجة"، وضحت من خلاله استهلال القصيدة بمقدمة يعقبها الدخول إلىٰ الغرض الأساسي لها، وتتبع العلاقة بين المقدمة والموضوع أو التوسل إلىٰ الموضوع بأغراض أخرىٰ أو ابتداء القصيدة بالغرض الخاص بها مباشرة دون مقدمات. وبحثت في ارتباط البنية بموضوع القصيدة من أغراض شعرية .

وجاء المبحث الثاني بعنوان:الظواهر الفنية في قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء"، ركزت فيه علىٰ البناء اللغوي والبناء الأسلوبي، محاولة استنطاق النص الأدبي، واستكناه أسراره عبر مستوياته المتعددة.

ثم الخاتمة التي رصدت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.

وأخيرًا الكمال لله وحده، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، منك العون والتوفيق، وبك الحول والقوة، وأنت حسبي ونعم الوكيل

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

أولًا: لمحة من حياة ابن خفاجة:

من أهم شعراء الأندلس الذين وصفوا الطبيعة أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي الشاعر؛ ذكره ابن بسام في الذخيرة وأثنىٰ عليه، وقال": كان مقيمًا بشرق الأندلس ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم علىٰ أهل الأدب"[(١)]. شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب علىٰ شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة[(٢)].

وقد" ترجمت كتب الرجال والتراجم الأدبية لابن خفاجة باعتباره من العلماء من جهة، وباعتباره من نبهاء الأدباء وفحول الشعراء من جهة ثانية. فقد تلقىٰ العلم عن أهله في زمانه، وكانت له رواية عالية، ولازم أهل الأدب ونبغ في الشعر فعرف بهذا الفن، واسترسل تحت مظلته طوال حياته"[(٣)]

اسمه:

هو " الأديب أبو إسحاق ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله ابن خفاجة الهواري الأندلسي"[(٤)]، شاعر شرق الأندلس، وكنيته أبو إسحق الشاعر الأديب

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي(ت ٦٨١ ﻫ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر– بيروت– ط/ ١٩٠٠ م، ج/ ١، ٥٦.

(٢) انظر/ الأعلام، خير الدين الزركلي، ط/ دار العلم للملايين– بيروت– لبنان، السابعة،١٩٨٦ م، ج١، ٥٧.

(٣) في الأدب الأندلسي، محمد رضوان الداية، ط/ دار الفكر المعاصر– بيروت – لبنان، الأولىٰ ١٤٢١ه–٢٠٠٠م، ٣٣١.

(٤) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبي الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، الشهير بابن خاقان، حققه وعلق عليه د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار – الأردن– ط/ الأولىٰ ١٤٠٩ ﻫ– ١٩٨٩م، ٧٣٩.

المشهور، من أعلام الشعراء الأندلسيين في القرنين الخامس والسادس الهجريين، " مشهور متقدم مبرز حسن الشعر جدًا، خبيث الهجاء، وشعره كثير مجموع، وكانت له همة رفيعة"(١).

مولده:

ولد ببلدة شُقر(٢)بضم الشين المثلثة وسكون القاف والراء المهملة، ويطلق عليها العرب جزيرة شقر من أعمال بلنسية في الجانب الشرقي للأندلس. وسميت جزيرة؛ لأن نهر شقر يحيط بها من جميع جهاتها، فجعلها جنة من جنان الأندلس(٣)،" ويعدها ياقوت أنزه بلاد الله وأكثرها ماءً وروضًا وشجرًا، ومن هنا كان لبيئة ابن خفاجة أثر بارز في جنوحه بشعره إلىٰ وصف الطبيعة"(٤).

وكانت ولادته سنة أربعمائة وإحدىٰ وخمسين هجرية(٥)، (٤٥١ - ١٠٥٨وتوفي بها سنة٥٣٣هـ - ١١٣٨م).

نشأته:

عاش ابن خفاجة حياة هادئة في إبان عهد الطوائف، ثم في عصر المرابطين بعد زوال دولة بني أمية والدولة العامرية، وبعد انتهاء دولة بني عباد، أي في عصر كان نضج اللغة والأدب بلغ أو يبلغ منتهاه"(٦)

---

(١) بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن يحيىٰ بن أحمد بن عميرة الضبي، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط/ دار الكتاب العربي ١٩٦٧م،ج / ١، ٢١٧.

(٢) مدينة منعزلة في شرق الأندلس بين شاطبة وبلنسية، مشهورة بجمال طبيعتها.

(٣) راجع/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١ ه)، تحقيق/ إحسان عباس، ج/ ١، ٥٧.

(٤) ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشرق - بيروت- د.ط، د.ت،١٨٩.

(٥) جاء في الأعلام، سنة ٤٥٠ ه.

(٦) بلاغة العرب في الأندلس، د. أحمد ضيف، ط/ دار المعارف للطباعة والنشر، ط/ الأولىٰ ١٩٢٤م، ٢١٣. وانظر/ ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، ١٨٩.

" وقد تركت الجزيرة بمناظرها الطبيعية الجميلة، أثرًا في شاعريته، نشأ في أسرة علىٰ جانب من اليسار، وكان والده من أعيان المدينة، فعاش في سعة من العيش، بسبب ضيعة كان يمتلكها، عُرف بالتأنق في مظهره ومطعمه، ولم يشتغل بعمل، ولم يتزوج قط، وكان نزيه النفس، لم يتكسب بشعره، تفرد بوصف الطبيعة، وكان أسبق الشعراء فيها حتىٰ لقب بجنان الأندلس."[1] وصدق عليه اللقب، فأصبح شاعر الوصف الأول في الأندلس.

و"مدح المرابطين، بعد أن أسهموا في إنقاذ الأندلس من السقوط في يد العدو، واستنقذوا مدينة بلنسية وما حولها بعد أن احتلها المغامر القشتالي السيد القمبيطور كما كان يلقبه العرب."[2] ذاق مرارة الاغتراب، فخرج عن بلدته شقر، ولجأ إلىٰ المغرب، فنتج عنه غرض الحنين إلىٰ الوطن وظهر هذا الغرض جليا في ديوانه بشكل واضح. ومما قاله هناك:[3]

فَقُلتُ وَلي دَمعٌ تَرَقرَقَ فَاِنهمىٰ ... يَسيلُ وَصَبرٌ قَد وَهي فَتَضَعضَعا

أَلا هَل إِلىٰ أَرضِ الجَزيرَةِ أَوبَةٌ ... فَأَسكُنَ أَنفاسا وَأَهدَأَ مَضجَعا[4]

(١)ابن خفاجة الأندلسي (٤٥٠ ـ ٥٣٣ هـ) =(١٠٥٨ ـ ١١٣٨م

http://www.moqatel.com/openshare/Mostlhat/Alaam/Mokatel1_1-4.htm_cvt.htm

(٢) في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، ٣٣٤.

(٣) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ط/ منشأة المعارف – الإسكندرية- ط/ ١٩٦٠م،١٢٨.

(٤) القصيدة عينية، من بحر الطويل.

ومن أبياته الرائعة في شوقه للأندلس قوله:(١)

إِنَّ لِلجَنَّـــــــةِ فِي الأَنـــــــدَلُسِ مُجتَلـــىٰ حُســـنٍ وَرَيّـــا نَفَـــسِ
فَسَـــنا صُـــبحَتِها مِـــن شَـــنَبٍ وَدُجـــىٰ ظُلمتِهـــا مِـــن لَعَـــسِ
فَـــإِذا مـــا هَبَّـــتِ الـــريحُ صَـــبًّا صِـــحتُ وا شَـــوقي إِلـــىٰ الأَنـــدَلُسِ

وكأن الشاعر اختصر حنينه وشوقه إلىٰ وطنه في قوله:(وا شَوقي إِلىٰ الأَندَلُسِ)

ويقول في قصيدته:(لَكَ اللَهُ مِن بَرقٍ تَراءىٰ فَسَلَّما)(٢)

وَمـــا شـــاقَني إِلّا حَفيـــفُ أَراكَـــةٍ وَسَـــجعُ حَمـــامٍ بِـــالغُمَيمِ تَرَنَّمـــا
وَسَـــرحَةُ وادٍ هَزَّهـــا الشَـــوقُ لا الصَـــبا وَقَـــد صَـــدَحَ العُصـــفورُ فَجـــرًا فَهَيَنَمـــا
أَطَفـــتُ بِهـــا أَشـــكو إِلَيهـــا وَتَشـــتَكي وَقَـــد تَـــرجَمَ المُكّـــاءُ عَنهـــا فَأَفهَمـــا
تَحِـــنُّ وَدَمـــعُ الشَـــوقِ يَســـجِمُ وَالنَـــدىٰ وَقَـــرَّ لعَينـــي أَن تَحِـــنَّ وَيَســـجُما
وَلَمّـــا تَـــراءَت لـــي أَثـــافِيُّ مَنـــزِلٍ أَرَتنـــي مُحَيّـــا ذَلِـــكَ الرَبـــعِ أَشـــأَما(٣)

تمثل الأبيات السابقة تجربة الغربة الكاملة والحنين، وفيها بكىٰ الشاعر وطنه وشبابه. وفي صفحة أخرىٰ من ديوانه، نجد صورة شعرية بديعة لحنين ابن خفاجة وهيامه وشوقه إلىٰ بلدته شُقْر في شرقيّ الأندلس، بين شاطبة وبلنسية، وهي تقع علىٰ نهر يحمل اسمها ويكاد يطوّقها، وعندما يشير الشاعر إلىٰ نهريْها فهو يريد جزأي النهر اللذين يطوقانها ويجعلان منها شبه جزيرة. يقول ابن خفاجة في شعرٍ يتشوق فيه إلىٰ معاهده، ويندب ماضي زمانه(٤):

---

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،١٣٦.

(٢) المرجع السابق، ١٦.

(٣) القصيدة ميمية، من بحر الطويل.

(٤) انظر/ من بستان الشعر الأندلسي.. ابن خفاجة نموذجًا، فاروق شوشة – مجلة العربي
http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=1273

بـــين شُـــقْرٍ وملتقـــىٰ نهريْهـــا حيــث ألقــت بنــا الأمــاني عصــاها[١]

ويغنـــي المكّـــاءُ في شـــاطئيها يســـتخفُّ النهـــي فحلّـــت حُباهـــا[٢]

يستشعر الشاعر الغربة بعمق شديد عندما تعصف به الذكريات وتختزل له حياته الماضية في معاهد لهوه وصباه في موطنه جزيرة شقر في صورة متحركة واحدة، وهو يعاني من البعد عنها، ولكن أي غربة قصدها الشاعر، فقد قصد غربة النفس في هذا العالم، وفرقة الشاعر بالحياة، "لغير تلاق"، والرحلة عنها إلىٰ الحياة الآخرة " رحلة تطول نواها"[٣]

آه مـــن غربـــة ترقـــرق بثـــا آه مـــن رحلـــة تطـــول نواهـــا

آه مـــن فرقـــةٍ لغيـــر تـــلاقٍ آه مـــن دارٍ لا يجيـــب صـــداها

فحياة الشاعر في طريقها للانتهاء، وإن كان القلب يتمناها، والعين تبكي عليها. وهكذا أصبحت معاهد صباه معادلًا موضوعيًا لشعوره بالغربة عن الحياة، ويكون مدخلًا لشعور الشاعر بتوديعها وشيكا الوداع الأخير.[٤]

وشـــباب قـــد فـــات إلا تناســـيه ونفـــسٍ لـــم يبـــق إلا شـــجاها

مـــا لعينـــي تبكـــي عليهـــا وقلبـــي يتمنـــىٰ ســـواده لـــو فـــداها

صفاته:

يعد ابن خفاجة شاعر الأندلس الأول في وصف الطبيعة قال عنه المقري في" نفح الطيب": "كان رقيق الشعر أنيق الألفاظ غير أن ولوعه بالصنعة وتعمده الاستعارات

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٣٦٤.

(٢) القصيدة هائية، من بحر الخفيف.

(٣) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٣٦٥.

(٤) انظر/ رثاء النفس في الشعر الأندلسي، د. مقداد رحيم، ط/ جهينة للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، ١٤٣٣ه-٢٠١٢م، ١٤٧.

والكنايات والتورية والجناس وغيرها من المحسنات المعنوية واللفظية جعل بعض شعره متكلفًا وأوقع بعضه في الغموض"[١]، كان عزيز النفس لا يتكسب بشعره، ولا يمتدح أحدًا رجاء العطاء، "ولم يتعرض لاستماحة ملوكها مع تهافتهم علىٰ أهل الأدب."[٢] وقد كان ابن خفاجة في شبابه صاحب لهو ومجون، كما وصفه الفتح بن خاقان بقوله: " وكان في شبيبته مخلوع الرسن، في ميدان مجونه، كثير الوسن، بين صفا الانتهاك وحجونه، لا يبالي بمن التبس، ولا أي نارٍ اقتبس"[٣]

منزلته:

يعد من أهم شعراء الأندلس، كثرت القابه، وتعددت صفاته، وشاعت قصائده وتنوعت، وامتلأت بكثير من المشاعر والأحاسيس، التي تؤثر علىٰ المتلقي فقد " كان ابن خفاجة شاعر عصره، استولت عليه روح المرح والمتاع بالحياة، فأقبل علىٰ الطبيعة يتنزه في مغانيها ويتملىٰ من مباهجها فتمتلئ نفسه بشرًا ويعبر عنها تعبيرًا يفيض حبورًا، ولقد كان لنشأته المترفة ولجمال بلدته أثر في تغذية خياله وتكوين تأملاته فنظر إلىٰ الطبيعة نظرة طويلة فاحصة ساعدته علىٰ دقة التعبير عن معانيه. وقد سمىٰ (بشاعر شرق الأندلس)، كما سمىٰ (بالشاعر البستاني)، ولقبه المقري (بصنوبري الأندلس)؛ لعنايته بوصف الطبيعة الأندلسية؛ ولا سيما الجانب الضاحك

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ ﻫ) تحقيق د/ إحسان عباس، ط/ دار صادر – بيروت– ١٤٠٨ه–١٩٨٨م،ج ١،٦٧٧،ج٣،٤٨٨.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج ٦ / ٥٤١.

(٣) قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان، أبو نصر الفتح بن خاقان، تحقيق: حسين يوسف، ط/ الأولىٰ المطبعة الأميرية – بولاق، ١٢٨٤ ﻫ – ١٨٦٦ م، ٢٣٢.

منها."[١] بالإضافة إلىٰ مكانته عند أمراء الطوائف وأمراء المرابطين من الحكام والقادة وطبقتهم، وكانت له صداقات مع كبار رجال عصره من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء مثل: ابن السيد البطليوسي، وابن أبي الخصال، وابن خاقان، وابن باجة، وابن وهبون.." [٢]وكان الأندلسيون يعجبون به وبشعره حتىٰ ليرفعونه إلىٰ الأفق الأعلىٰ، يقول ابن بسام: "الناظم المطبوع، الذي شهد بتقديمه الجميع، المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع "[٣]. ويقول الفتح في القلائد: "مالكُ أعنةِ المحاسنِ وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها، المجيد لإرهافها، العالم بجلائها وزفافها، تصرف في فنون الإبداع كيف شاء، وأتبع دلوه في الإجادة الرشاء، فشعشع القول وروقه، ومد في ميدان الإعجاز طلقه، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وآنق من الروض البليل " .[٤]

ويقول الحجاري في المسهب:"هو اليوم شاعر هذه الجزيرة، لا أعرف فيها شرقًا ولا غربًا نظيره"[٥]

---

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، د. مصطفىٰ الشكعة، ط/ دار العلم للملايين-بيروت- الرابعة ١٩٧٩م، ١٠٨.

(٢) انظر/ في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية،٣٣٢.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ج١ ٥٤١،٦.

(٤) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبي الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، الشهير بابن خاقان، حققه وعلق عليه د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار – الأردن- ط/ الأولىٰ ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م،٧٣٩.

(٥) المغرب في حلىٰ المغرب، حققه وعلق عليه/ د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف –مصر- ط/ الثانية،١٩٦٤م، ج ٢/ ٣٦٧.

يصنف الشاعر الخفاجي في طليعة شعراء الأندلس ذوي التميز والتفرد، وله معجبين ومحبين، يحملون شعره، ويؤمنون بمذهبه (المذهب الخفاجي).

وكان أيضًا "من الكتاب البلغاء، صاحب مذهب كتابي، وأسلوب أدبي يوازن بشعر أبي تمام ومذهبه، كما يشبه في نثره وكتابته ابن العميد والهمذاني."(١)

مما سبق يتبين مكانة ودور ابن خفاجة في الشعر الأندلسي عامة، وشعر الطبيعة بصفة خاصة.

أغراض شعره:

كان ابن خفاجة "شاعرًا، كاتبًا، مترسلًا، وصافًا للطبيعة التي ربته بجمالها، فعمل بجميع قواه العقلية والخيالية علىٰ التعبير عن هذا الجمال ممثلًا في الرياض والغياض والبساتين والرياحين، وقال في ذلك شعرًا كثيرًا."(٢)

حيث تنصب قصائد ومقطوعات ابن خفاجة في معظمها علىٰ وصف الطبيعة، فكانَ مُصوِّرًا ماهرًا، ووصَّافًا مُبدعًا للمُشاهد، إذ كانت مُعظمُ معانيه مأخوذةً مِمّا يُشاهده.(٣) فالطبيعة عند ابن خفاجة هي كل شيء، "فقد شغف بها، ومزج روحه بروحها، وبادلها الشعور والإحساس، وكان يتحدث إليها كما يتحدث إلىٰ شخص ذي حياة وحركة."(٤)

---

(١) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الأولىٰ ١٤١١ه- ١٩٩٠م،٢٤.

(٢) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين،٢٤.

(٣) انظر/ الصورة الفنية في شعر ابن خفاجة الأندلسي: مقاربة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة وهران- الجزائر- كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، الباحثة/ عبد ربىٰ نوال، إشراف/ د. حسن بن مالك، ٢٠١٠-٢٠١١م،١٥.

(٤) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ٢٤.

بالإضافة إلىٰ قصائده التي نظمها في أغراض الشعر المختلفة، فكانت له قصائد في الرثاء، والمديح، والعتاب، والشكوىٰ، والهجاء[١]، والحكمة، والزهد، والغزل، والمداعبات، وغير ذلك من الأغراض دون أن يتخلىٰ عن نزعته الوصفية.[٢] فابن خفاجة شاعر "من شعراء دور ملوك الطوائف تتمثل فيه الجدة والحداثة، ويعكس بيئة الأندلس وطبيعتها الضاحكة، وتتجلىٰ فيه الصفة الأندلسية وحبه للطبيعة أكثر من غيره." [٣]

وفاته:

توفي ابن خفاجة في بلدته شقْر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة للهجرة[٤] لأربع بقين من شهر شوال، وقد ناف عمره عن الثمانين سنة وفيها قال راثيا نفسه:

أَيُّ عَيشٍ[٥] أَو غِذاءٍ أَو سِنَه ... لِابنِ إِحدىٰ وَثَمانينَ سَنَه[٦]

قَلَّصَ الشَيبُ بِهِا ظِلَّ[٧] اِمرِئٍ ... طالَما جَرَّ صِباهُ رَسَنَه

تارَةً تَسطو[٨] بِهِ سَيِّئَةٌ ... تُسخِنُ العَينَ وَأُخرىٰ حَسَنَه[٩]

---

(١) حذف أكثره من نسخة ديوانه التي اعتمدها وأذاعها، راجع/ في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية،٣٣٢.

(٢) انظر/ ملامح الشعر الاندلسي، د. عمر الدقاق،١٩٤.

(٣) في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، ط/ دار المعارف – مصر- ط/ الثانية ١٩٦٦م، ١٠٥.

(٤) ١١٣٨م.

(٥) ورت في ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي: أنس.

(٦) قصيدة نونية، من بحر الرمل.

(٧) ورت في ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي: ذيل.

(٨)ورت في ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، تخطو.

(٩) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ٣٥٥.

ودفن ببقيع جزيرته شقر[١]. وأثناء هذا العمر الطويل، مات أصحابه واحدًا بعد الآخر، وظل وحيدًا وقال يندب معاهد الشباب، ويتفجع لوفاة الإخوان والأحباب بعقب سيل أعاد الديار آثارًا، وقضىٰ عليها وهيًا وانتثارًا[٢]:

فَطـــالَ وُقـــوفي بَـــينَ وَجـــدٍ وَزَفـــرَةٍ ... أُنـــادي رُســـومًا، لا تُحيـــرُ جَوابًـــا
أَمحـــو جَميـــلَ الصَـــبر، طَـــورًا، بِعَبـــرَةٍ ... أَخُـــطُّ بِهـــا، في صَـــفحَتَيَّ، كِتابًـــا
وَقَـــد دَرَسَـــت أَجســـامُهم وَدِيـــارُهُم ... فَلَـــم أَرَ إِلّا أَقبُـــرًا وَيَبابًـــا[٣]
وَحَســبيَ شَــجوًا أَن أَرىٰ الــدارَ بَلقَعًــا[٤] ... خَــلاءً، وَأَشــلاءَ الصَــديقِ تُرابًــا[٥]

فالأبيات توضح مدىٰ وفاء الشاعر ومحبته لأصحابه وأصدقائه، فقد كان يتردد علىٰ قبورهم، ويطيل الوقوف علىٰ ديارهم التي أصبحت قفارا خالية من أصحابها وساكنيها، ليس بها إلا أشلاء الأصدقاء يعلوها التراب.

" ثلاثمائة وواحد وثلاثون بيتًا من الشعر نظمها ابن خفاجة راثيًا عددًا من الأعيان أبرزهم أبو محمد عبد الله بن ربيعة[٦] الذي خصه بأربع قصائد، والأبيات الباقية

(١) ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشرق – بيروت– د. ط، د.ت، ١٩٧.
(٢) نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرّطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، ج/ ١ ٦٧٧.
(٣) اليَباب: الخراب.
(٤) البلقع: الأرض القفر، والدار البلقع: الخالية من أصحابها.
(٥) القصيدة بائية من بحر الطويل، وعنوانها: "حسبي شجوا" راجع/ ديوان ابن خفاجة، شرح، د. عمر فاروق الطباع، ط/ دار القلم – بيروت – لبنان، د٠ت،٣٢. وديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،١٧٨.
(٦) لم أعثر علىٰ ترجمته.

كانت في أم الفقيه قاضي القضاة أبي أمية، وفي ابن أخته محمد وفي بعض إخوانه"[١]

فهل اختلفت قصائده في الرثاء فيها عن رثاء قصيدته هذه؟ ومنها قصيدته في رثائه[٢]:

رَفَعَــت عَلَيــكَ عَويلَهــا الأَمجــادُ وَجَفَــت كَــريمَ جَنابِــكَ العُــوّادُ[٣]

وقصيدة[٤] له عندما بلغ الستين من العمر يرثي نفسه، وإن كانت وفاته بعد الثانية والثمانين، فقد عاش بعدها اثنين وعشرين عامًا، وقد طلب فيها من عناصر الطبيعة أن تشاركه رثاءه لنفسه لتخفف عليه وطأة الإحساس بالموت وتوديع الحياة، حيث ليس من بعد الستين من أمل في الحياة[٥]:

أَلا ســـــاجِل دُمـــــوعي ياغَمـــــامُ وَطـــارِحني بِشَـــجوِكَ ياحَمـــامُ[٦]

فَقَـــد وَفَّيتُهـــا سِـــتّينَ حَـــولًا وَنـــادَتني وَرائـــي هَـــل أَمـــام؟

وتنصب معظم قصائد رثاء النفس في الشعر الأندلسي، وعند ابن خفاجة علىٰ الوازع الديني خاصة هذه الأعمار المتعلقة بالشيخوخة، قال رسول الله -ﷺ-:" أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ"[٧]، فالموت شيء لابد من وقوعه إن عاجلًا أم آجلًا، وللمرء عمرًا محددًا لا يتعداه، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [سورة النساء:٧٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران:١٨٥]، وكان ابن خفاجة يعد المشيب بداية النهاية، ونذيرا للموت، وفقدانا الشباب ومع أن حياة ابن خفاجة تنقسم إلىٰ مرحلتين:

---

(١) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ٨٤.

(٢) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٢٣١.

(٣) القصيدة دالية من بحر الكامل. عدد الأبيات: ٥٣

(٤) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٦٤.

(٥) انظر/ رثاء النفس في الشعر الأندلسي، د. مقداد رحيم، ط/ جهينة للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، ١٤٣٣ه-٢٠١٢م، ٧٣،٧٦.

(٦) القصيدة من بحر الوافر: عدد الأبيات:٧

(٧) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦).

مرحلة الشباب والمرح واللهو والانغماس في أحضان الطبيعة وملذات الحياة. ثم تأتي المرحلة الثانية "إذا ما تقدم به العمر، تغير مسلكه، وأخذ يتجه إلىٰ الاستقامة التي تقترب من الزهد. فاتسع شعره – في هذه المرحلة – إلىٰ كثير من التأمُّل، وبخاصة في مفارقات الحياة، وحتمية الموت، ومحاسبة النفس علىٰ ما اقترفت في زمن الصبا والشباب. وزاد من وطأة هذه المشاعر في المرحلة الأخيرة من حياته أنه عاش حياته منفردًا، دون زواج. فلم يكن إلىٰ جواره الصوت الآخر الذي يسعفه بالإيناس من قبضة الوحشة، وبالمؤازرة الإنسانية والوجودية في أوقات السأم أو التشاؤم، أو الشعور بالوحدة والعزلة، وهو الذي امتد به شريط الحياة حتىٰ توفِّي في بلدته شقْر سنة خمسمائة وثلاث وثلاثين هجرية، عن اثنين وثمانين عامًا."[١]

وقد رجىٰ كل من يمر بقبره أن يرثي ويتألم لحاله، ويسلم عليه ويترحم، يقول:[٢]

خليلي هل من وقفة بتألمِ ... علىٰ جدثي أَو نظرة بترحمِ
خليلي هل بعد الردىٰ مِن ثنية ... وَهل بعد بطن الأَرْضِ دَار مخيم؟
وَإِنا حيينا أورَدينا لإخوة ... فَمن مر بِي منْ مُسلم فليسلمِ
وماذا عَلَيْهِ أَنْ يَقُول مُحييًا ... إِلَّا عِم صباحًا أَو يَقُول إِلَّا أسلمي

توضح الأبيات مدىٰ حرص الشاعر علىٰ حبه لذاته وللحياة، واعتزازه بها؛ لذا فهو يعبر بطريق غير مباشر عن رفضه لمغادراتها، فكأنه يريد الخلود الأبدي، فلم يجد غير هذه الصورة المعنوية التي تبقيه حيًا بين قلوب الناس علىٰ مر الزمان.

ويبكي ابن خفاجة ابن أخت له توفىٰ في عنفوان شبابه بأغمات بالمغرب بصحراء المغرب فيما يبدو، وجاءه نعيه، وفيه يقول:[٣]

---

(١) من بستان الشعر الأندلسي.. ابن خفاجة نموذجًا، فاروق شوشة، مختارات من مجلة العربي. http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=1273

(٢) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٣٦٣.

(٣) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٢٦٧.

أَرَقتُ أَكُفَّ الدَمعِ طَورًا وَأَسفَحُ[١] وَأَنضَحُ خَدّي تارَةً ثُمَّ أَمسَحُ[٢]
فيا لغريب فاجأته منيّة أتته علىٰ عهد الشباب تجلّح[٣]
وَإِنّي إِذا ما اللَيلُ جاءَ بِفَحمَة لَأوري زِنادَ الهَمِّ فيها فَأَقدَحُ
أُتبِعُ طيبَ الذِكرِ أَنَّةُ موجَع فَيَنفَحُ هذا حَيثُ هاتيكَ تَلفَحُ
وَأَلقىٰ بَياضَ الصُبحِ يَسوَدُّ وَحشَةً فَأَحسِبُني أُمسي عَلىٰ حينَ أُصبِحُ
وَيوحِشُني ناعٍ مِنَ اللَيلِ ناعِبٌ فَأَزجُرُ مِنهُ بارِحًا لَيسَ يَبرَحُ

فيقول إنه يقضىٰ الليل مسهدًا تارة يكفكف دمعه، وتارة يرسله مدرارًا، وطورًا يفيض فوّارا وطورًا يمسحه. ويأسىٰ لابن أخته أن أسرع إليه الموت غريبًا شابًا، بل لقد اختطفه اختطافًا. ونلاحظ في الأبيات السابقة إدخال ابن خفاجة لمظاهر الطبيعة، فتساعده في حزنه وتحزن له؛ فالبحر هائج والبيد مغبرة، والليل حالك الظلمة، والصباح مسود الوحشة، والليل الذىٰ كان هادئًا صار مقطع الأوقات بالناعي والناعب[٤]..

مما سبق" نلاحظ أن قصيدة الرثاء عند ابن خفاجة تمثل مزيجًا من التأبين[٥] والمديح، فالراثي يصور من يرثيه بأحلىٰ الصور وأبهاها، حتىٰ يخيل للقارئ والسامع

(١) أكف: أكفكف. أسفح: أصبّ. أنضح: من نضحت العين إذا فارت.
(٢) القصيدة حائية من بحر الطويل.
(٣) تجلح: تسرع.
(٤) انظر/ في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، ١٤٥.
(٥) الفرق بين الندب والتأبين والعزاء: الندب، أو البكاء علىٰ الميت ذي الرحم والقرابة، والتأبين ذكر فضائل الميت تبيانا لخسارة المجتمع بوفاته، أما العزاء فيكون بتصوير الموت علىٰ أنه سنة من سنن الكون، لا مفر منه.

أن الأبيات مدحية أكثر منها رثاء، ومن بين شعره- الذي نتخيره من بين أوراق بستان الشعر الخفاجي توقفت عند واحدة من قصائده المعبرة والناطقة بألوان إبداعه الشعري، وتحليقه في فضاءات مختلفة للقصيدة تضمّ جوانب تأملية فكرية ومشاهد طبيعية وملامح من شعره

وتعد من أروع الأبيات[١] التي قالها ابن خفاجة في رثاء الوزير أبي محمد عبد الله ابن ربيعة، موضوع هذا البحث. ولعل طول عمر الشاعر، ومعايشته لرحيل أصدقائه، أثر فيه أيما تأثير، ولا عجب فقد رأي وفاة أصدقائه وأقرب المقربين. فالوزير أبو محمد عبد الله بن ربيعة في قصيدة ابن خفاجة (في كُلِّ نادٍ مِنكَ رَوضُ ثَناء وجَدوَلِ مـــاءِ)، يغدق بالعطايا من غير بخل ولا تقتير"[٢].

وفي صفحة أخرىٰ من الديوان، نجد صورة شعرية أخرىٰ لرثائه وفيها يقول:[٣]

رَفَعَـــتَ عَلَيـــكَ، عَويلَهـــا، الأَمجـــادُ وَجَفَـــتَ كَـــريمَ، جَنابِـــكَ، العُـــوّاد
لِلَّـــهِ أَيُّ خَليـــلِ صِـــدقٍ مُخلِـــصٍ أَهـــوىٰ بِـــهِ رُكـــنٌ وَمـــالَ عِمـــادُ

فقد تحولت تجربة فقد الأصدقاء والأصحاب لدىٰ ابن خفاجة إلىٰ محنة، وخاصة بعد رحليهم واحدا تلو الآخر، فراح يبكي بصدق هؤلاء الراحلين، ويرثيهم رثاء منكوب مكلوم الفؤاد بسبب رحيلهم عن دنياه، وراح يشكو مرارة الوحدة من بعدهم، فولدت عنده تلك التجارب الكثير من المعاني في شعره.[٤] لقد تميز ابن خفاجة

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ١٧٨.
(٢) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين،٨٥.
(٣) ديوان ابن خفاجة، شرح د/ عمر فاروق الطباع، ٧٥.
(٤) انظر/ الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي، د/ فاضل فتحي محمد والي، ط/ دار الأندلس للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية- الأولىٰ ١٤١٧ه- ١٩٩٦م، ٤٥٧.

بعاطفة جياشة، فبكىٰ وانتحب، وتألم واضطرب، واهتز قلبه لفقد أصحابه وأحبابه.(١)

فقال:(٢)

وَأَنّـــي إِذا يَمَّمـــتُ قَبـــرَكَ زائِـــرًا ... وَقَفـــتُ وَدوني لِلتُّـــرابِ حِجـــابُ

فَأَظلَمَ قَـرنُ الشَـمسِ وَهـيَ مُنيـرَةٌ ... وَضـاقَت بِـلادُ اللَـهِ وَهـيَ رِحـابُ

وَمَهما قَرَقتُ بَـينَ الحُـزنِ وَالصَـبرِ عَبـرَةً ... لَهـا جَيئَـةٌ في مُقلَتـي وَذَهابُ

وَلَـو أَنَّ حَيّـا كـانَ حـاوَرَ مَيِّتـا ... لَطـالَ كَـلامٌ بَينَنـا وَخِطـابُ

فجاءت قصائده في رثاء الوزير أكثر حرارة ونبضا بالمشاعر الحزينة، وكأنه يبكي نفسه مع بكائه لصديقه.

وفي رثاء والدة القاضي أبي أمية، نراه يركز علىٰ ما تركته من أثر فقال:(٣)

في مِثلِـهِ مِـن طـارِقِ الأَرزاءِ ... جـادَ الجَمـادُ بِعَبـرَةٍ حَمـراءِ

مِـن كُـلِّ قانِيَـةٍ تَسـيلُ كَأَنَّهـا ... شُـهُبٌ تَصَـوَّبُ مِـن فُـروجِ سَـماءِ

تَحمـىٰ فَتَغـرَقُ مُقلَـةٌ في حـاجِم ... مِنهـا وَتُحـرَقُ وَجنَـةٌ في مـاءِ

مَحَـتِ الكَـرىٰ بَـينَ الجُفـونِ وَرُبَّمـا ... غَسَـلَت سَـوادَ المُقلَـةِ الكَحـلاءِ

أَهوِلِ بِـهِ مِـن يَـومِ رُزءٍ فـادِحٍ ... سَـحَبَ الصَـباحُ بِـهِ ذُيـولَ مَسـاءِ

ثم علق علىٰ القصيدة قائلًا: " كتبته، والنفس تتفجع وحصاة القلب تتصدع، عندما طرأ النبأ الأشنع، وطرق الحادث الأهول الأفظع، بما سفر عنه الدهر من وجه الداهية الدهياء....."(٤)

---

(١) المرجع نفسه، ٣٢٨.

(٢) ديوان ابن خفاجة، شرح د/ عمر فاروق الطباع،٤١.

(٣) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ٢٧٣.

(٤)ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي ،٢٧٦.

قصر الشاعر الرثاء في الأمير أبي بكر علىٰ ذكر فضائله فقال:(١)

لا أَرىٰ إِلّا أَخـــــــا كَـــــــرَمٍ ... باكِيـــــًا مِنـــــهُ أَخـــــا كَـــــرَمِ

كَـــم بِصَـــدرِيَ فيـــكَ مِـــن حُـــرَقٍ ... وَبِكَفِّـــيَ مِنـــكَ مِـــن نِعَـــمِ

لا لَعَمـــــرِ المَجـــــدِ وَالكَـــــرَمِ ... وَمَـــــزارِ البَيـــــتِ وَالحَـــــرَمِ

ولابن خفاجة ديوان شعر أحسن فيه وأجاد، ولأنه عمّر طويلًا فقد نظمه بنفسه ورتب قصائده وكتب المقدمات لها، وذكر مناسباتها، كما كتب مقدمة لشعره تحدث فيها عن شعره وأغراضه وشاعريته. حقق وطبع في دار صادر في بيروت(٢)

ثانيًا: " ابن خفاجة وشعر الطبيعة":

تمثل الطبيعة في قصيدة الشعر العربي المصدر الأكبر إذا قورنت بمصادره وينابيعه الأخرىٰ، واتسع حيِّزها يومًا بعد يوم، حيث ظلَّ الشاعر العربي علىٰ مرِّ العصور الأدبية ينهل من ينبوعها، وظلَّت الطبيعة عنده بنية نصيَّة تنمو، وتتطور، وتكبر، إلىٰ أن وصلت إلىٰ الأندلس فاتسعت ميادينها، وتنوعت أشكالها بسبب عدة عوامل أهمها، التطور الحضاري في شتىٰ ميادين الحياة، وجمال الطبيعة في البيئة الأندلسية، واستعداد الشاعر لتذوق الجمال ووصفه وهذا ما لمسناه عند ابن خفاجة.

"يقول في مقدمة ديوانه: إنه كان ينهج في شعره نهج الشريف الرضي ومهيار وعبد المحسن الصُّوري(٣).

---

(١) المرجع نفسه،١٠٥.

(٢)ابن خفاجة

https://arab-ency.com.sy/ency/details/4052/8#:~:text=Khafadja%20%2D%20Ibn%20Khafadja

(٣)أبو محمد عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غلبون من أهل صور، هو شاعر شيعي من شعراء العصر العباسي، ولد ومات في صور، شاعر بديع الألفاظ حسن المعاني رائق الكلام مليح النظام مشهور بالإجادة بين شعراء أهل الشام، من حسنات القرن الرابع الهجري. جمع شعره بين جزالة اللفظ وفخامة المعنىٰ. وله ديوان شعر يحتوي علىٰ خمسة آلاف بيت تقريبًا، راجع/ تاريخ الأدب العربي، د. عمر فرّوخ، ط/ دار العلم للملايين- بيروت - ط/ الرابعة ١٩٨١م،ج/ ٣،٨٠-٨١.

وقد طبع شعره في التشبيب بطوابع الأوَّلين فأكثر فيه من ذكر الطيف والخيال والظعائن والعيس والأماكن الحجازية والنجدية ونسيم الصبا وأنفاس الخزامىٰ. وربما كان ذكره لعبد المحسن الصوري إشارة إلىٰ تشبهه بشعراء الشام في وصف الطبيعة، وكان يعجب بألوان البديع وهو يقترب في ذلك من ذوق أصحاب التصنيع أمثال أبي تمام. وأهم موضوع عُني به وصف الطبيعة؛ إذ كان مغرىً بوصف الأنهار والأزهار وما يتعلق بها. ولعل أهم ما يلاحظ علىٰ فنه أنه كان يُعْنَىٰ بالتشخيص للطبيعة والتصوير لمباهجها، وهو ليس تصويرًا جديدًا، فمن قبله كان العباسيون أمثال؛ أبي تمام وابن الرومي وابن المعتز وغيرهم يصورون هذه المباهج تصويرًا لا يقل عن تصوير ابن خفاجة. وقد لا نعدو الحق إذا قلنا إن كل ما له في هذا الجانب إنما هو الكثرة، أما فيما عدا ذلك فليس له جديد. وحتىٰ لون التشخيص الذي اتخذه في تصوير الطبيعة استعاره استعارة من أبي تمام وتلامذته. وإن الإنسان ليلاحظ جملة أن ذوق ابن خفاجة كان قريبًا من ذوق المصنعين في المشرق؛ إذ يكثر من ألوان التصنيع، من تشخيص وجناس وطباق وما يندمج في ذلك من صور وأخيلة. وكان يقف عند هذه الألوان الحسية في التصنيع .....، أما الألوان العقلية فلم يكن يعنىٰ بها أو بعبارة أدق لم يكن يفهمها. علىٰ كل حال انحاز ابن خفاجة إلىٰ جانب الألوان الحسية في التصنيع، وأظهر فيها مهارة واسعة إذ كان يمزج بينها مزجًا طريفًا[1].

فقد تفوق الأندلسيون في ميدان وصف الطبيعة علىٰ شعراء المشرق، وأتوا بالروائع الخالدة ؛ لما وهبهم الله من طبيعة ساحرة خلابة، فقد كانت الأندلس من أغنىٰ بقاع الدنيا منظرًا وأوفرها جمالًا؛ ولذا شُغِف الأندلسيون بها، فأقبلوا يسرحون النظر في خمائلها، ويستمتعون بمفاتنها، فوصفوا الرياض والبساتين، والأشجار والثمار،

(١) انظر/ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف – القاهرة – الحادية عشرة، ١٩٨٧م، ٤٤٥.

والأزهار والطيور، ووصفوا السحاب والرعد، والبرق والطيف، والأنهار والبحار، وقد وصفها ابن خفاجة بقوله[١]:

يَأَهـــلَ أَنـــدَلُسٍ لِلَّـــهِ دَرُّكُـــمُ ... مـــاءٌ وَظِـــلٌّ وَأَنهـــارٌ وَأَشـــجارُ
مـــا جَنَّـــةُ الخُلـــدِ إِلّا في دِيـــارِكُمُ ... وَلَـــو تَخَيَّـــرتُ هَـــذا كُنـــتُ أَختـــارُ
لاتَختَشـــوا بَعـــدَ ذا أَن تَـــدخُلوا سَـــقرا ... فَلَـــيسَ تُـــدخَلُ بَعـــدَ الجَنَّـــةِ النـــارُ[٢]

ولا غرو فالأندلس تغلب عليها المياه الجارية، والشجر، والثمر[٣]، ولا سيما جزيرة شقر، التي عاش فيها شاعرنا، فنهر شقر يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم[٤]. فالشعر تعبير جميل عن شعور صادق، وقد عبر شعراء الأندلس عن شعورهم أصدق تعبير.

"فللأندلسيين شخصية واضحة في شعرهم، استمدوها من بيئتهم، وتجاوبوا فيها مع طبيعة بلادهم التي كانت لهم مصدر إلهامهم ومسرح خيالهم، فقد صنعت أذهانهم، وسما وجدانهم، وعذب بيانهم، فهذبوا الشعر وتأنقوا في ألفاظه، وتصرفوا في معانيه، ونوعوا في قوافيه، وتفننوا في خياله."[٥]

"إن روضيات ابن خفاجة لتفيض عذوبة وجمالًا، وإنه ليصورها في فن مصقول حافل بالمعاني، فتبدو وكأنها مشاهد من عالم الخيال أو مجالس أنس تدور فيها الأكواب، بيد أنه من المبالغة أن نذهب إلىٰ أن روضياته كانت السابقة التي نشأ عنها

---

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،١٠٩.

(٢) القصيدة رائية من بحر البسيط.

(٣) انظر/ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج/ ١،٢١١.

(٤) انظر/ قلائد العقيان، ابن خاقان، ج١،٩٥١،٣.

(٥) الشعر الأندلسي بين التقليد والتجديد، د. حسن جاد حسن، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، العدد الأول- ١٤٠٢ه-١٩٨٣م، ٢٥٣ .

أسلوبنا في فهم الطبيعة. وقد كان أثر ابن خفاجة عظيمًا، وظلت " الطريقة الخفاجية" محتذاه حتىٰ أواخر أيام مملكة غرناطة."(١)

وقد استولت الطبيعة علىٰ لب ابن خفاجة فوصف" الحدائق الفيح، والمروج الخضر، حيث كان يمرح ويلهو مع أصدقائه في جو بهيج، وشاركه الغصن هذا الإحساس والذي توج هذا الجمال ظهور الهلال بعد الغروب، كأنه طوق من ذهب يزين برد الغمامة، حين ذاك وصف هذه اللوحة بقوله: "(٢)

وَاهتَـزَّ عِطـفُ الغُصـنِ مِـن طَـرَبٍ بِنـا ... وَافتَـرَّ عَـن ثَغـرِ الهِـلالِ المَغـرِبُ(٣)

فَكَأَنَّـهُ وَالحُسـنُ مُقتَـرِنٌ بِـهِ (٤) ... طَـوقٌ عَلـىٰ بُـردِ الغَمامَـةِ مُـذهَبُ(٥)

" وصل ابن خفاجة بين الطبيعة وبين معظم أغراض الشعر الأخرىٰ، وجعل مفردات الطبيعة علىٰ اختلاف أنواعها معجمًا لغويًا وفنيًا يرجع إليه في صناعته الشعرية؛ وربط بين الطبيعة وبين رؤيته الخاصة للحياة بما فيها من عظات وعبر"(٦).

وقد أحال الطبيعة من حوله إلىٰ صور ووجوه ناطقة، واقرأ له هذا الوصف للجبل الذي اعترضه في سراه فتحدث عن لسانه قائلًا:(٧)

---

(١) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه، عربه عن الإسبانية حسين مؤنس، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- الأولىٰ ١٩٥٢ م، ٢٩.

(٢) موسوعة تاريخ الأدب والنقد والحكمة العربية في العصر الأموي في الأندلس، حسين علي الهنداوي، ب.ت، ب.ط، ج ١٣٥،٦.

(٣) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ٢٩٠.

(٤) وردت في ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، والغيم ثوب أدكن.

(٥) القصيدة بائية، من بحر الكامل.

(٦) في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، ط/ دار الفكر المعاصر – دمشق- ط/ الأولىٰ ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م، ١٢١-١٢٢.

(٧) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٢١٦.

وَأَرعَــنَ طَمّــاحِ الذُّؤابَــةِ بــاذِخٍ يُطــاوِلُ أَعنـــانَ السَـــماءِ بِغـــارِبِ[١]

وَقـــورٍ عَلـــىٰ ظَهـــرِ الفَـــلاةِ كَأَنَّـــهُ طِـــوالَ اللَيـــالي مُفَكِّـــرٌ[٢] في العَواقِـــبِ

يَلـــوثُ عَلَيـــهِ الغَـــيمُ ســـودَ عَمـــائِمٍ لَهـا مِـن وَمـيضِ البَـرقِ حُمـرُ ذَوائِـبِ[٣]

أَصَـــختُ إِلَيـــهِ وَهـــوَ أَخـــرَسُ صـــامِتٌ فَحَـــدَّثَني لَيـــلُ السُّـــرىٰ بِالعَجائِـــبِ

فالطبيعة هي المعلم الأول الذي ألهب شعراء الأندلس بالصورة البديعية والألفاظ الساحرة والعبارات الرائعة حتىٰ سحرت شعراء كثيرين كابن خفاجة، واستولت علىٰ لبهم وعقولهم.

فقد اتخذ ابن خفاجة من قصيدته في وصف الجبل ذريعة لرثاء نفسه، واتخذ من الجبل معادلًا موضوعيًا لشخصه، فلم يكن الجبل سوىٰ ابن خفاجة نفسه. وكأن ابن خفاجة قد اتخذ من قصيدته هذه عرضًا لفلسفة الحياة والموت،فيقول:[٤]

وَقـــالَ أَلا كَـــم كُنـــتُ مَلجَـــأَ قاتِـــلٍ وَمَـــــوطِنَ أَوّاهٍ تَبَتَّـــــلَ تائِـــــبِ

وَكَـــم مَـــرَّ بـــي مِـــن مُـــدلِجٍ وَمُـــؤَوِّبٍ وَقـــالَ بِظِلّـــي مِـــن مَطِـــيٍّ وَراكِـــب

وَلاطَـــمَ مِـــن نُكـــبِ الرِيـــاحِ مَعـــاطِفي وَزاحَـــمَ مِـــن خُضـــرِ البِحـــارِ غَـــوارِبي

فقد حدث ابن خفاجة الجبل عما مر به من تجارب مع الآخرين في مختلف الحالات الإنسانية، وهو يتطلع إلىٰ نهاية لما كان يحدث، ولكن ما عساه فاعل وقد غيب الموت معظم أصحابه، إن لم يكن كلهم، وما في يده سوىٰ ذرف الدمع علىٰ فراقهم، وتركه وحيدًا، يقول :

فَمـــا كـــانَ إِلّا أَن طَـــوَتهُم يَـــدُ الـــرَدىٰ وَطـــارَت بِهِـــم ريـــحُ النَـــوىٰ وَالنَوائِـــبِ

---

(١) الأرعن: الجبل الشامخ، والغارب: الكاهل.

(٢) ورت في ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي: مطرق.

(٣) يلوث: يلف، والذوائب هنا: أعالي العمامة.

(٤) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،٢١٦.

فَمـا خَفـقُ أَيكـي غَيـرَ رَجفَـةِ أَضـلُعٍ وَلا نَـوحُ وُرقـي غَيـرَ صَـرخَةِ نـادِبِ
وَمـا غَـيَّضَ السُـلوانَ دَمعـي وَإِنَّمـا نَزَفـتُ دُمـوعي في فِـراقِ الصَـواحِبِ

والشاعر يظهر من ذلك قلقا عجيبًا من الموت ويتشبث بمفاهيم البقاء، مع قناعته التامة بحتمية الموت وشموليته، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة العنكبوت:٥٧].

وبدراسة حياة ابن خفاجة تكشف لنا عن قلقه العظيم بالإحساس بالموت ولعل في فقده لإخوته ورفاقه واستشعاره الوحدة من بعدهم حتىٰ إنه "كان يخرج من جزيرةُ شقر في أكثر الأوقات إلىٰ بعض تلك الجبال التي تقترب من الجزيرة وحده، فكان إذا صار بين جبلين نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا إبراهيم تموت – يعني نفسه – فيجيبه الصوت، ولا يزال كذلك حتىٰ يخر مغشيا عليه."[1] مما يدل علىٰ مدىٰ قلق الشاعر من فكرة الموت.

فقد طوع ابن خفاجة الطبيعة تطويعًا رائعًا في التعبير عن تجربة الموت.

مما سبق يتضح أن:

– ابن خفاجة شاعر له صفات خاصة، وقدرات شعرية عالية تميزه من شعراء العربية عامة وشعراء الأندلس خاصة.

– صاحب مدرسة لها مذهب فني عُرف بالمذهب(الخفاجي).

– انجذب ابن خفاجة انجذابًا شديدًا إلىٰ المناظر الطبيعية، واهتم بتأمُّل عناصر الطبيعة، يصوِّرها ويُشخِّصها ويقيم علاقة شعورية معها.

– رثاء الأصدقاء غرض بارز في شعر ابن خفاجة، يمتاز بصدق التعبير، ومدىٰ الحسرة علىٰ فراقهم.

---

(١) انظر/ بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن يحيىٰ بن أحمد بن عميرة الضبي، ط/ دار الكتاب العربي ١٩٦٧م،٢١٦-٢١٧.

المبحث الأول

" بنية القصيدة عند ابن خفاجة"

يتناول هذا المبحث البناء الشكلي لقصيدة ابن خفاجة " في كُلِّ نادٍ مِنكَ رَوضُ ثَناءِ" من خلال عرض موضوع القصيدة، وصدق تجربة الشاعر الشعرية، وكيف تعامل الشاعر معها، من مطلع القصيدة إلي نهايتها. حيث "جاءت بنية القصيدة الرثائية في عصري المرابطين والموحدين، خاضعة للبناء التقليدي المتعارف عليه في الشعر العربي المشرقي، مشتملة علىٰ عناصر البناء وهي: المطلع والمقدمة، والمضمون، وحسن التخلص، والخاتمة." [(١)] فاهتم ابن خفاجة بالمطلع، وانتقل منه إلىٰ حسن التخلص، ثم انتهىٰ إلىٰ الخاتمة، وحاول أن يلائم بين المطلع الذي يغلب عليه وصف الطبيعة بمضمون القصيدة وموضوعها، فأجاد في حسن التخلص إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ الخاتمة."لأن حسن الافتتاح داعية الإنشراح، ومطية النجاح، وخاتمة الكلام أبقىٰ في السمع، وألصق بالنفس؛ لقرب العهد بها؛ فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والأعمال بخواتيمها، كما قال رسول الله-ﷺ"-[(٢)] وسنذكر أبيات القصيدة كاملة في ملحق في نهاية البحث، ونتابع في هذا المبحث بنيتها؛ لنتعرف علىٰ عناصر الإبداع الفني عند ابن خفاجة في مضمونها.

والرثاء غرض شعري قديم، وفيه يقوم الشاعر بتأبين الميت فيذكر محاسنه ومآثره. " والتعبير عن الحسرة علىٰ ما ضاع. وكان عادة الشعراء أن يبدأوا مراثيهم بمقدمات

---

(١) انظر/ النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- ١٩٩٧م، ٢٠٢وما بعدها.

(٢) انظر/ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، باب المبدأ والخروج والنهاية، أبو علىٰ الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣ ه)، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الخامسة، ١٤٠١ ه - ١٩٨١م، ج/ ١، ٢١٧.

يذكرون فيها أحوال المرثي وظروفه التي أدركته المنون فيها...ثم يتناول الشاعر مديح المتوفي وآله، أي أن هذا الفن كان في واقع الأمر مديحًا مصوغًا في قالب الألم والتفجع"[١] فالرثاء من أشهر موضوعات الشعر نظمًا وأصدق من يكون الشاعر فيه فقد سُئل البحتري عن سبب تفوق رثاءه علىٰ مديحه فقال:(من تمام الوفاء أن يعلو المدح الرثاء) وذلك حين مدح محمد بن يوسف الطائي المعروف بأبي سعيد الثغري ومدح ابنه سعيدًا، وأكثر من مدْحهما والثناء عليهما، ثم قُتلا فرثاهما وأكثر من رثائهما، فكان رثاؤه لهما أجود من مدحه إياهما، وقد سُئل البحتري عن ذلك فأجاب: إنما ينبغي أن يكون الرثاء أجود من المدح؛ لأن الرثاء هو صفة للوفاء؛ ولأن المدح الذي يُبتغَىٰ به العطاء والمال يمكن أن يكون جيدًا ويمكن أن يكون رديئًا؛ لأنه صدر عن حاجة، وأما الرثاء فصادق اللهجة، يعبر عن هذا الوفاء وهذا الإخلاص. [٢]

وليس أصعب علىٰ الإنسان من فقد عزيز عاش معه ورافقه في حياته وكان مؤثرا في حياته، ويكون أكثر صعوبة عند مرهفي الحس فيعبرون عنه بأشكال شتىٰ فـ" الرثاء لغة القلوب وحديث العاطفة، وهو أنة المحزون وصرخته وقطعة من قلب المفؤود وكبده المتقطع، وآية ناطقة بفداحة الخطب وهول المصاب، لا ترسله الألسنة إلا من صدور مكلومة وأفئدة موجعة ونفوس باكية وقلوب ملتاعة. شفها الحزن وصدعها الهم. واستولت عليها الحسرة وأضناها الأسىٰ."[٣] مما يدل علىٰ أهمية غرض الرثاء في الشعر الأندلسي، وأنه غرض رئيس وليس من الأغراض الثانوية المهملة، انطلاقًا من إظهار الجوانب الروحية والنفسية التي تسود المجتمع الأندلسي .

---

(١) الشعر الأندلسي، حسين مؤنس، ٦١.

(٢) من حديث الشعر والنثر، د. طه حسين، ط/ دار المعارف – مصر- د.ت،١١٦.

(٣) الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز محمد عيسىٰ، ط/ مطبعة الاستقامة، د. ط، د.ت، ١٣٣.

مناسبة القصيدة :

وإذا تحدثت عن مناسبة القصيدة فأستطيع القول: إنه قد" قُدر لأبي إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي أن يقطع في ركب الحياة نيفا وثمانين عامًا عاش أكثرها بين سمع الزمان وبصره علمًا من أعلام الأندلس يشار إليه بالبنان، وعبقرية فذة تزهي بها جزيرة شقر ويفاخر بها المغرب المشرق فيما أنتج من عبقريات."[1] ويُعد رثاء الأصدقاء تعبيرًا عن عاطفة سامية؛ لأنها تنطوي علىٰ كثير من معاني الوفاء والحب والتقدير، وكان ابن خفاجة أحد الشعراء الذين سطروا أروع الأبيات التي تتسم بالصدق والحرقة علىٰ فقدان خلانهم، خاصة بعد أن امتد به العمر ومشاهدته لوفاة الكثير من الأحباب الذين سار في جنازاتهم الواحد تلو الآخر.

ف" قال يرثي الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة – رحمه الله- **وكانا** قد جمعت بينهما أزمة الشباب، ومحضر الكتاب، وقراءة الحساب والآداب، فكان من الانتظام والالتحام، بحيث لا يريان ينفصلان، حتىٰ اخترمته الوفاة بعقب وفاة جملة من إخوانهما وأقرانهما، فقال يتوجع ويتفجع"[2]

فِي كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ ... وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ
وَلِكُـــلِّ شَـــخصٍ هِـــزَّةُ الغُصـــنِ النَـــدي ... غِـــبَّ البُكـــاءِ وَرِنَّـــةُ المُكـــاءِ
يـــامَطلَعَ الأَنـــوارِ إِنَّ بِمُقلَتـــي ... أَســـفًا عَلَيـــكَ كَمَنشَـــإِ الأَنـــواءِ

(١) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ٤.

(٢)ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي،١٠٩.

فابن خفاجة من" شعراء الأندلس الذين تأثروا بالطبيعة، ولم ينظروا إليها كشيء خارج عن كيانهم، بل وصفوها من خلال عواطفهم وأشركوها إحساسهم فجسموها وشخصوها، وهذا ما فطن إليه الرومانتيكيون بعدهم."(١)

ويمكن تتبع مراحل القصيدة بأزمنتها من خلال هذا الجدول:

الأزمنة	المراحل
ما قبل	افتتاحية القصيدة
أثناء	مضمون القصيدة
ما بعد	ختام القصيدة

- موضوع القصيدة:

بنىٰ ابن خفاجة قصيدته الرثائية هذه من خلال خمسة وعشرين بيتًا علىٰ عدة موضوعات أهمها وصف الطبيعة، إلا أنَّ موضوعها الأساس كان رثاء الوزير أبي محمد عبد الله ابن ربيعة.

ومزج الطبيعة بين غيرها من الأغراض الشعرية أمر متاح ومعروف في نطاق شعر الغزل، والمدح، الخمر، الغلمان.. فلم يكن شاعر الأندلسي يترك لمحة من لمحات الطبيعة إلا طرقها بذكاء وبراعة وافتنان، وكانت لمحاته صور لطبيعة الأندلس الرائعة .

" والطريف أن الأمر لم يقف بشعر الطبيعة عند الافتنان به والافتنان فيه، وإنما تعدىٰ ذلك، بحيث أصبح يحل محل أبيات النسيب في قصائد المديح، إلا أن الجديد في الأمر أن القوم لتعلقهم بشعر الطبيعة إلىٰ حد الشطط والهوس جعلوا يطعمون المراثي بشعر الطبيعة فبينما تقرأ مرثية لفقيد، وتتوقع أن تسمع أنات محزون وغصص

(١) انظر/ في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، ط/ دار المعارف – مصر– ط/ الثانية ١٩٦٦م، ٧٦.

مكلوم إذ بك تسمع أبياتًا في وصف الرياض والورود والأزاهير علىٰ ما سوف نبين فيما يستقبل من حديث. "[١]

ومزج ابن خفاجة بين وصف الطبيعة والرثاء وهو ما تحدث عنه الدكتور "الشكَعة" تعليقًا يحمل بين طياته حملة شعواء علىٰ" ابن خفاجة" حين قال: إن ابن خفاجة قد أقدم في جرأة علىٰ هذا الضرب الجديد كمزج الطبيعة بالرثاء.

إن نظرة أولية لهذه القصيدة تبرز بوضوح صدق الشاعر في عرضه لموضوعها، تمثل في صدق عرض أفكاره وصدقه في التعبير عن مشاعره تجاه صديقه، فرثاه رثاءً حارًا، وحاول أن يصور لنا حزنه عليه وإن غلبه حبه للطبيعة، فدمج بينهما دمجًا غريبًا علىٰ شعرنا العربي ونمط القصيدة التقليدية.

"ولعل مشاعر اللوعة والحسرة التي انطوت عليها جوانح العرب بفقدهم تلك الدرة التي تدحرجت من تاج عزتهم هي العامل الأول في انبثاق تلك العواطف الجياشة التي تفيض بها نفوس العرب بمجرد أن تصافح أسماعهم كلمة الأندلس ذلك الفردوس المفقود."[٢] إن مزج الطبيعة بشعر الشكوىٰ والتحسر والهموم بدا منطقيًا، أما الجديد الغريب عند الأندلسيين هو مزج الطبيعة بالحزن والبكاء في مقام الرثاء، وبحيلة خفيفة استطاع الشاعر الأندلسي أن يحول وجه الطبيعة الضاحك البهيج، الذي كان يمرح من خلاله في ألوان المتعة وأسباب اللهو، إلىٰ وجه كسيف باك حزين، يسخره في خدمة غرضه الجديد الذي أقحمه عليه إقحامًا، وهذاما فعله ابن خفاجة في رثاء الوزير أبي محمد عبد الله ابن ربيعة حيث قال:-

في كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، د. مصطفىٰ الشكعة، ط/ دار العلم للملايين-بيروت- الرابعة ١٩٧٩م، ٢٥٨.

(٢) ملامح الشعر الأندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشرق - بيروت- د.ط، د.ت،٥.

وَلِكُـلِّ شَـخصٍ هِـزَّةُ الغُصـنِ النَـدي غِـــبَّ البُكـــاءِ وَرِنَّـــةُ المُكـــاءِ
يـــامَطلَعَ الأَنـــوارِ إِنَّ بِمُقلَتـــي أَسَـــفًا عَلَيـــكَ كَمَنشَـــإِ الأَنـــواءِ
وَكَفـــىٰ أَسَـــىً أَن لاسَـــفيرٌ بَينَنـــا يَمشـــي وَأَن لامَوعِـــدٌ لِلِقـــاءِ
فـــيمَ التَجَمُّـــلُ في زَمـــانٍ بَـــزَّني ثَـــوبَ الشَـــبابِ وَحيلَـــةَ النُـــبَلاءِ
فَعَريـــتُ إِلّا مِـــن قِنـــاعِ كَآبَـــةٍ وَعَطِلـــتُ إِلّا مِـــن حُلِـــيِّ بُكـــاءِ
فَـــإِذا مَـــرَرتُ بِمَعهَـــدٍ لِشَـــبيبَةٍ أَو رَســـمِ دارٍ لِلصَـــديقِ خَـــلاءِ
جالَـــت بِطَـــرفي لِلصَـــبابَةِ عَبـــرَةٌ كَـــالغَيمِ رَقَّ فَحـــالَ دونَ سَـــماءِ

إنّ ابن خفاجة قد أقدم في جرأة علىٰ هذا الضرب الجديد من مزج الطبيعة بالرثاء. فهل استطاع أن يقدم شيئًا ذا بال من خلال محاولته تلك ؟!

من هنا كانت فكرة هذا البحث، والذي لا شك فيه أن الطبيعة الفينانة تمثل مولد الحياة وبهجتها وغناءها وبسمتها، والرثاء يمثل نهاية الحياة وآلامها، وبكاءها والحسرة عليها، ومن ثم كان الجمع بين الطبيعة والرثاء جمعًا بين نقيضين، والجمع بين النقيضين مؤد إلىٰ البوار فالماء يطفئ النار، والخل يفسد العسل، والغناء يزيل الحزن وهكذا.. ومن ثم فإن محاولة ابن خفاجة هذه محفوفة بالمكاره محوطة بالأخطار، فالبيتان الأول والثاني ليس فيهما لمحة حزن ولا هما يرشحان إليه من قريب أو بعيد، بل إن البيت الثاني يدل علىٰ نشوة راقصة وغناء بهيج، إذ يقول:

في كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ
وَلِكُـــلِّ شَـــخصٍ هِـــزَّةُ الغُصـــنِ النَـــدي غِـــبَّ البُكـــاءِ وَرِنَّـــةُ المُكـــاءِ

وكان في الإمكان أن يشعر ابن خفاجة المستمع إليه بأنه في مقام رثاء وليس في مقام وصف، لو أنه ضمن بيته الأول علىٰ الأقل كلمات يستشف من خلالها أنّه الأسىٰ أو رنة الحزن كأن يقول علىٰ سبيل المثال:

في كـــل نـــادٍ منـــك دمـــع وفـــاء وبكـــل خـــد فيـــك فـــيض بكـــاء

أو ما شابه.

وأما البيتان الثالث والرابع فهما أقرب إلىٰ تصوير لوعة المحب وزفرة الشاكي منهما إلىٰ أي شيء آخر، ويمكن أن يقال نفس الشيء عن البيتين الخامس والسادس، وهكذا لا نكاد نحس بأن في القصيدة نعيًا – ولا نقول بكاءًا – إلا في البيت الرابع عشر، حيث يقول:

لا هَـزَّني أَمَـلٌ وَقَـد حَـلَّ الـرَدىٰ ... بِـأَبي مُحَمَّـدٍ المَحَـلَّ النـائي

مما يوحي بأنه نعي فاتر ورثاء بعيد عن العاطفة، ما كان ينبغي الشاعر أن يتورط فيه، أو بالأحرىٰ أن يسلك هذا السبيل إليه، بل إن الشاعر يوغل في تصوير الطبيعة إيغالًا حيث أنه يرثي صديقه، فإذا به يرسم تلك الصور التي تعود أن يتغنىٰ بها من خلال وصفه للطبيعة، وذلك في قوله:

فَلَطالَمـا كُنّـا نُـريحُ بِظِلِّـهِ ... فَنُـريحُ مِنـهُ بِسَـرحَةٍ غَنّـاءِ
فَتَقَـت عَلـىٰ حُكـمِ البَشاشَـةِ نورَهـا ... وَتَنَفَّسَـت في أَوجُـهِ الجُلَسـاءِ
تَتَفَـرَّجُ الغَمّـاءُ عَنـهُ كَأَنَّـهُ ... قَمَـرٌ يُمَـزِّقُ شَـملَةَ الظَلمـاءِ
قاسَـمتُ فيـهِ الـرُزءَ أَكـرَمَ صـاحِبٍ ... فَمَضـىٰ يَنـوءُ بِأَثقَـلِ الأَعبـاءِ
يَهفـو كَمـا هَفَـتِ الأَراكَـةُ لَوعَـةً ... وَيُـرِنُّ طَـورًا رِنَّـةَ الوَرقـاءِ

فقد ملك هذا اللون من الشعر علىٰ شعراء الأندلس كل حياتهم، خاصة ابن خفاجة فجودوا فيه إلىٰ حد مزجه بموضوعات الغزل والخمر، وهذا شيء مألوف منذ عُرف شعر الطبيعة في المشرق، ثم زاد خطوة فمزجه بشعر المديح وجعله استفتاحًا له، وهو أمر عُرف عند المشارقة أيضًا، ولكن الأندلسيين كانوا فيه أكثر توفيقًا وأوفر إنتاجًا وجعلوا منه أمرًا طبيعيًا وربما تقليديًا، ثم تقدموا بعد ذلك خطوة أخرىٰ جديدة فمزجوا شعر الطبيعة بشعر الشكوىٰ والتحسر، وأخيرًا جمعوا بين شعر الطبيعة والرثاء كما في قصيدة ابن خفاجة.

وإذا تحدثت أولًا عن: بناء القصيدة:

فأقول إن نقاد العربية الأوائل قد اهتموا ببناء القصيدة من مطلع وتخلص وخاتمة إلىٰ اهتمام بالمقدمات الطللية وبنائها علىٰ موضوع واحد. قال ابن طباطبا "إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنىٰ الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرًا وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس القول عليه. فإذا اتّفق له بيت يشاكل المعنىٰ الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني علىٰ غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه؛ بل يعلّق كلّ بيت يتّفق له نظمه علىٰ تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات وفّق بينها بأبيات تكون نظامًا لها وسلكا جامعًا لما تشتّت منها. ثمّ يتأمّل ما قد أدّاه إليه طبعه ونتيجة فكرته فيستقصي انتقاده ويرمّ ما وهىٰ منه ويبدّل بكلّ لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقيّة. "[1] ويختلف مفهوم بناء القصيدة عن ما هو موجود عند المحدثين من النقاد الذين يرون أن مصطلح (البناء الفني) في القصيدة هو مجموعة متشابكة في العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر علىٰ بعضها من ناحية وعلىٰ علاقتها بالنص كلا من ناحية أخرىٰ[2].

-هيكل القصيدة:

١- المقدمة والمطلع:

اهتم النقاد القدامىٰ والمحدثون بمقدمة ومطلع القصيدة اهتمامهم بمتن القصيدة، فالشعر عند ابن رشيق "قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره؛ فإنه

---

(١) عيار الشعر، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق د. طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الثانية ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م، ١١.

(٢) انظر/ نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، ط/ دار الشروق، ١٤١٩ه- ١٩٩٨م، ١٨٣وما بعدها.

أول ما يقرع السمع، وبه يستدل علىٰ ما عنده من أول وهلة."[١] وقد افتتح ابن خفاجة قصيدته التي تبلغ خمسة وعشرين بيتًا بمقدمة وصفية، ثم انتقل إلىٰ غرض القصيدة الأول وهو الرثاء دامجًا بينه وبين وصف الطبيعة، ولا غرو فابن خفاجة شاعر جمع بين الألم والأمل، فكان سعيدًا حينًا، حزينًا حينًا آخر، وكانت قصائده متنفسًا لأفراحه وأحزانه.

- **مطلع القصيدة:**

بدأ ابن خفاجة قصيدته شاكيًا مصابه إلي الطبيعة عله يجد فيه ما يسليه ويزيح عنه هول الصدمة.

ولعل ابن خفاجة في قصيدته هذه سار علىٰ نظام المشارقة، حيث التزم معظم شعراء الأندلس في معظم قصائدهم بالمنهج المشرقي، وتخلصوا إلىٰ حد ما من المقدمات الغزلية، وخاصة في القصائد التي تناولت وصف المعارك الحربية [٢]. وإن كان ابن خفاجة في قصيدته هذه قد انتهج نهجًا جديدًا يتواءم مع طبيعة الأندلس، وهو وصف الطبيعة، إلا أنه لا يتلاءم مع غرضها الرئيس وهو الرثاء، فقد غلب سيطرة موضوع وصف الطبيعة علىٰ شعره بصفة عامة، مما أعطىٰ قصائده رونقًا خاص، ونفحة ربيعية جميلة، فتعلقه بالطبيعة تعلق لم يشهده شاعر من شعراء الأندلس من قبل؛ لذا لقبوه بصنوبري الأندلس، قال عنه المقري:" وكان صنوبري الأندلس أبو إسحاق ابن خفاجة، وهو من رجال الأخيرة والقلائد والمسهب والمطرب والمغرب،

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق، ج/ ١، ٢١٨ .

(٢) انظر/ قراءة في كتاب الادب العربي في الاندلس، للدكتور علي محمد سلامة / واثق الواثق=https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid٥٧٥١٤٠الحوار المتمدن-العدد: ٥٦٦٤ - ٢٠١٧ / ١٠ / ٩

وشهرته تغني عن الإطناب فيه مغزىٰ بوصف الأنهار والأزهار وما يتعلق بها وأهل الأندلس يسمونه الجنان ومن أكثر شيء عرف به."[١]

- حسن التخلص: عند البلغاء هو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلىٰ المقصود علىٰ وجه سهل يختلسه اختلاسًا دقيق المعنىٰ بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنىٰ الأول إلا قد وصل الثاني لشدة الالتئام بينهما.

سمّاه " ابن رشيق " "حسن الخروج " بمعنىٰ أن يخرج الشاعر من غرض إلىٰ آخر بلطف وتحيل ثم يتمادىٰ الشاعر فيما خرج إليه، وقد كان شعراء الأندلس أحيانًا يحسنون التخلص حين يبدأون قصائدهم بالنسيب. قال ابن رشيق: "وأولىٰ الشعر بأن يسمي تخلصًا ما تخلص فيه الشاعر من معنىٰ، ثم رجع إلىٰ ما كان فيه."[٢]

وهنا يأتي السؤال هل استطاع ابن خفاجة أن يأتي بحسن التخلص في قصيدته؟

ويمكن الإجابة إذا اعتبرنا غرض وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي ملازمًا له، فلا يكون هناك تخلص غرض من غرض بل يكون هناك دمج وذوبان بينه وبين غرض القصيدة الأساس، وهذا ما نجح فيه الشاعر، والشاعر الماهر هو الذي يُحسن بناء القصيدة، بمعنىٰ أن يتصور أركان القصيدة ومعانيها وأغراضها قبل تنفيذها، "ويتمثل محتواها مخططًا قبل أن يحوله إلىٰ شكل منفذ، ويدرك آثارها في مستمعيه، ويعرف شكلها قبل أن يتجسد مضمونها في هذا الشكل."[٣] وإن كان ابن خفاجة قد أحسن

---

(١) نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج / ٣،٤٨٨.

(٢) الموازنة بين الشعراء، د/ زكي مبارك، ط/ مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م، ١٩٣.

(٣) نقد القصيدة العربية، السيد فضل، ط/ منشأة المعارف – الإسكندرية- د- ت،٢٢.

التخلص في قصائد أخرىٰ دمج فيها بين غرضي الرثاء ووصف الطبيعة، منها قصيدته في وصف الجبل، ومحاورته له فيقول:(١)

بَعَيشِكَ هَل تَدري أَهوجُ الجَنائِبِ تَخُبُّ بِرَحلي أَم ظُهورُ النَجائِبِ؟
وَأَرعَنَ طَمّاحِ الذُؤابَةِ باذِخٍ يُطاوِلُ أَعنانَ السَماءِ بِغارِبِ
يَسُدُّ مَهَبَّ الريحِ عَن كُلِّ وُجهَةٍ وَيَزحَمُ لَيلاً شُهبَهُ بِالمَناكِبِ

فقد استهل ابن خفاجة قصيدته بالاستفهام، محاولاً بذلك البحث عن سبب مقنع للحياة، ولماذا نعيش ما دمنا سنموت؟! فهو ينهض بخطاب حائر يوجه إلىٰ ذاته الحائرة القلقة من النهاية المجهولة التي سيؤول إليها كل حي.

في بحث الشاعر عن أنيس يسليه في وحدته يستقر علىٰ صورة الجبل، فيسبغَ عليه صفات بشرية، فجعله ناطقًا بلسانه، ليقوم الجبل نيابةً عنه بالخلود، فهو من يمتلك صفة تقيه شر الموت، مما دفع الشاعر إلىٰ الولوج إلىٰ ذات الجبل علَّه يمتلك شيئًا من صفاته ولو لوقت قصير، فاختيار ابن خفاجة للجبل اختيار يناسب توجهه النفسي المتأزم بالقلق، فهو يبحث عمّن يُكمل ويعوض له نقصًا أحسَّه عميقًا في ذاته، ملخصًا بذلك واقع الحياة (فَإِنّا مِن مُقيمٍ وَذاهِبِ). كما أن مناجاة ابن خفاجة للجبل، ضربٌ من التحسر الذي بلغ مرحلة رثاء الذات، عبر إسقاط مواجعه علىٰ ملامح الجبل وتشخيصه إنسيًّا إيحائيًا ذا قيم جمالية وفنية وفكرية واضحة، مشكلًا بذلك (الإطار) وهو الجبل، و(المحتوىٰ) وهو قلق الموت.(٢)

(١) ديوان ابن خفاجة، شرح د/ عمر فاروق الطباع،٤٧.

(٢) انظر/ تحليل قصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل، خلود المعاويد، ٧ أغسطس ٢٠٢٣ https://mawdoo3.com

وفي قصيدة رثاء أخرىٰ أجاد فيه حسن التخلص، في رثاء أم أبي أمية، فقد انتقل من المقدمة الوصفية للطبيعة إلىٰ غرض القصيدة وهو الرثاء فقال:(١)

لَـــئِن جَزِعـــتَ لِيَـــومِ أُمٍّ بَـــرَّةٍ ... نَشَـــأَت تَطـــولُ أَكـــابِرَ الآبـــاءِ
تَصِـــلُ الـــدُعاءَ إِلـــىٰ البُكـــاءِ كَأَنَّمـــا ... تَرمـــي السَـــماءَ بِمُقلَـــةٍ مَرهـــاءِ
فَلِمِثلِـــهِ مِـــن يَـــومِ خَطـــبٍ نـــازِلٍ ... جَمَّـــت دُمـــوعُ أَفاضِـــلِ الأَبنـــاءِ
فَاِســـمَح بِـــأَعلاقِ الـــدُموعِ فَإِنَّمـــا ... تُقنـــىٰ دُمـــوعُ العَـــينِ لِلبُرَحـــاءِ
وَاِقـــرَع لَهـــا بـــابَ السَـــماءِ بِـــدَعوَةٍ ... تَســـتَمطِرُ الخَضـــراءَ لِلغَبـــراءِ

علاقة المبدأ بالمعنى والغرض.

يجب أن يكون هناك تلازم بين المطلع والغرض، وهو ما أفصح عنه حازم القرطاجني، وجعله من محاسن المطالع، يقول:"ويجب أن تكون المبادئ جزلة، حسنة المسموع والمفهوم، دالَّة علىٰ غرض المتكلم"(٢)، وإن افتقدت قصيدة ابن خفاجة هذه العلاقة.

- نهاية القصيدة:

وجب أن تكون نهاية القصيدة مناسبة للغرض الذي هي منه بسبب بمعنىٰ أن تكون سارّة في المديح، وحزينة في الرثاء والتعازي. وقد ختم ابن خفاجة ببيان عظيم صفات المرثي، التي تشهد له بجميل خلاله، وطيب شمائله، فالفقيد نجم ساطع وكوكب منير وكأنه قِلادَةُ الجَـوزاءِ التي تعرف بالقوس.

وَلَـــئِن تَـــراءىٰ الفَرقَـــدانِ بِنـــا مَعًـــا ... وَكَفـــاكَ شُـــهرَةَ سُـــؤدُدٍ وَعَـــلاءِ

---

(١) القصيدة همزية من بحر الكامل.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط دار الغرب الإسلامي –بيروت– الثالثة، ١٩٨٦م، ٣٠٥.

فَلَطالَمـــا كُنّـــا نَـــروقُ المُجتَلـــي حُســـنًا وَنَمـــلأُ نـــاظِرَ العَليـــاءِ
يُزهـــىٰ بِنـــا صَـــدرُ النَـــدِيِّ كَأَنَّنـــا نَسَـــقًا هُنـــاكَ قِـــلادَةُ الجَـــوزاء

- **الوحدة العضوية:**

بمعنىٰ ترابط أجزاء القصيدة، وسيرها في اتجاه واحد فكرًا وشعورًا، كلّ بيت يرتبط بما قبله، وبما بعده، **وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار بحيث تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية؛ لكلّ جزء منها وظيفةٌ، ويؤدّي بعضُها إلى بعضٍ حتى تنتهِيَ إلى غايتها.** وقد سميت بالوحدة العضويَّة؛ لأنَّ ترابط أجزاء القصيدة، يشبه ترابط أعضاء جسد الكائن الحي.

وقصد النقاد بالوحدة العضوية للقصيدة " أن تكون بنية حية تامة الخلق والتكوين، فليست القصيدة ضربًا من المهارة في صياغة أبيات من الشعر، وإنما هي بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنىٰ، إنها عمل تام كامل ينقسم إلىٰ وحدات تسمىٰ أبياتًا، ولكن كل بيت خاضع لما قبله، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط في النسيج، يدخل في تكوينه، ويساعد علىٰ تشكيله. "[1]

ونحكم علىٰ توفّر الوحدة العضويَّة في القصيدة من خلال توفُّر العنصرين الآتيين:

- **وحدة الموضوع:** بمعنىٰ أن يكون موضوع الأبيات واحدًا. فموضوع قصيدة ابن خفاجة رثاء الوزير، موضوع واحد وإن دمجه ابن خفاجة بوصف الطبيعة من منطلق التزامه بقاعدة دمجه لهذا الغرض بجميع أغراض الشعر الأندلسي.

- **وحدة الجو النفسيّ:** بمعنىٰ أن تكون عاطفة الشاعر واحدة متناسبة مع الموضوع.

فالقصيدة مجموعة من العناصر المترابطة والمتداخلة، " تصوغها بصيرة الشاعر، لتصور خبرته ومعرفته إزاء حدث نفسي أو كوني، حدث لا تزال نفسه تنفعل به، وتهتز

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ط/ دار المعارف – القاهرة- التاسعة، ٢٠٠٤م،١٥٣.

إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة، حتىٰ تتدفق عليه الإحساسات، وقد أخذ بعضها برقاب بعض، إحساسات تصور صلة الشاعر بالحدث في حقيقته الجزئية، وصلته به من خلال حقائق الكون الشاملة"[١]

وقد ظهرت مشاعر الحزن والألم لفرقة الأنيس علىٰ حقبة ثلاثين حقبة لا تنقطع فقطعها الموت، وابن خفاجة لا ينسىٰ هذا مطلقا، وإذا نسىٰ ما بينهما من وصال ومودة لانتفىٰ وجود الوفاء بين البشر كما قال في رثائه في قصيدة أخرىٰ:[٢]

فلستُ بناسٍ صاحبًا من رَبيَعة ... إذا نَسيت رَسم الوفاءِ صحابُ

ومن هنا أستطيع القول:

أن مرثية ابن خفاجة قد حققت الوحدة الموضوعية من خلال توفُّر العنصرين السابقين.

(١) في النقد الأدبي، د/ شوقي ضيف، ١٥١.

(٢) ديوان ابن خفاجة، شرح د/ عمر فاروق الطباع،٤٣.

المبحث الثاني

" الظواهر الفنية في القصيدة عند ابن خفاجة"

ولع ابن خفاجة بألوان البلاغة من بيان وبديع ومعاني، ومعظمها أتت طيعة في موضعها دون إسراف أو تكلف.وإذا رثىٰ لا يغيب عنه الوصف حتىٰ في موقف البكاء؛ لأنه يمزج بكاءه بوصفه الجميل، وبما في نفسه من المعاني التي ملكت كل شيء، فـ" ابن خفاجة شاعر الطبيعة ومصورها، قد امتلأت نفسه وعينه من جمال الحياة وجمال الطبيعة، فراح يبرز هذا الجمال المعنوي في صور مختلفة من الجمال اللفظي."[1]

كما أن شعر ابن خفاجة " من النوع الوجداني، الإبداعي، المملوء بالصور والخيالات، والأنوار والظلال، والأوصاف الدقيقة، مع تفرده بالوصف والتصرف فيه، كان شعره رقيقا وألفاظه أنيقة، غير أن ولوعه بالصنعة وتعمده الاستعارات والكنايات والتورية والجناس وغيرها من المحسنات المعنوية واللفظية جعل بعض شعره متكلفًا، وأوقع بعضه في الغموض، .....فهو شاعر الطبيعة الأكبر، وأديب الأندلس وشاعرها، وأديبها المشهور الذي اعترف له بالسبق"[2]، وقد ظهر أثرها في معظم أشعاره، إن لم يكن في جميعها، فيقول في مرثيته:

في كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ ... وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ
وَلِكُـــلِّ شَـــخصٍ هِـــزَّةُ الغُصـــنِ النَـــدي ... غِـــبَّ البُكـــاءِ وَرِنَّـــةُ المُكـــاءِ

(١) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دلهي: مطبعة فيصل، د. ت،٢٤٨.

(٢) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين٢٥.

" فقد حاول ابن خفاجة أن يجمع في القصيدة الوصفية الرثائية بين التدفق والجزالة من ناحية، والصور المستحدثة من ناحية أخرىٰ، فخرج بضرب من الشعر في الطبيعة، مثقل متزاحم بين الموسيقىٰ القوية والصورة البعيدة."[١]

فقال – مخاطبًا صديقه–"إن كل ناد تحول إلىٰ روض ثناء عليك وكل خد هطلت عليه الدموع الكثيرة، حتىٰ استحال كل شخص بأنينه وانهمار دموعه إلىٰ ما يشبه هزة الغصن الندىٰ ورنة طائر المكاء الصغير يبكي أليفته."[٢] لقد جعل ابن خفاجة الدموع السائلة علىٰ الخدود كأنها جداول ماء، كما شبه اضطراب الباكين وانسكاب دموعهم بهزة الغصن الذي غمرته أمطار السماء. ولم يكتف بذلك؛ بل راح يشبه أنينهم بصوت قُبَّرة تصفر وتصيح. "ولابد للمصدور أن ينفث، وللحزين أن يفرج عن نفسه ويبث حزنه؛ فأرسل ابن خفاجة شعرًا باكيًا مقبولًا لدىٰ النفس عالقًا بالقلب، تتبين من خلاله التلهف علىٰ المرثي، وتستشعر الجزع والفجيعة لفقده "[٣]

وهنا يكون السؤال هل كان ابن خفاجة صادقًا في مشاعر الحزن والأسى في مرثيته أم جانبه التوفيق للفتور والانشغال بدمج غرض بعيد عن الرثاء؟

ويمكن الإجابة بأنه أراد التعبير عما تركه الفقيد في المحافل والمجتمعات من ذكريات تحفل بأعمال الخير والبر مما جعل الناس يلهجون بالثناء عليه، فصور هذا الثناء بالروض المزهر ذي الرائحة الطبيعية فأجاد في هذا التصور[٤].

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، د/ إحسان عباس، ط/ دار الشروق، عمان، الأولىٰ ١٩٩٧ م،٩٤.

(٢) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف – القاهرة– د– ت،٣٢١.

(٣) انظر/ الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز محمد عيسىٰ، ط/ مطبعة الاستقامة، د. ط، د.ت،١٣٣.

(٤) انظر/ الأدب العربي في الأندلس، للدكتور علي محمد سلامة / واثق الواثق ١٢٣-١٢٦. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=575140

الصورة الفنية :

الصورة الشعرية وسيلة الشعراء تبين وتكشف وتصف ما وهبهم الله تعالىٰ من جمال وسحر طبيعتهم، فالصورة لوحة فنية ناطقة يعبر بها الشاعر عن عواطفه ومشاعره فهي" تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها"(١)

والصورة التي تؤثر في المتلقي هي الصورة النابعة من العاطفة، ومن هنا يكون الخيال هو الباحث علىٰ الوحدة العضوية في القصيدة، "وقد ذهب كولريدج إلىٰ أن الخيال هو القدرة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن علىٰ عدة صور أو أحاسيس في القصيدة فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر".(٢)

وقد اعتمد ابن خفاجة في صوره الفنية في هذه القصيدة كعادته علىٰ مظاهر الطبيعة، حيث إنه أشرك الطبيعة في مصابه وبكائه، لتثير في نفوس قارئيه الألم والأسىٰ، ومن الصور التي جاء بها في مرثيته:

يـــامَطلَعَ الأَنـــوارِ إِنَّ بِمُقلَتـــي أَســـفًا عَلَيـــكَ كَمَنشَـــإِ الأَنـــواءِ(٣)

---

(١) الصورة في الشعر العربيّ حتّىٰ آخر القرن الثالث الهجريّ: دراسة في أصولها وتطوّرها، د/ علي البطل، ط/ دار الأندلس- بيروت- الثانية،١٤٠١ه- ١٩٨١ م، ٣٠.

(٢) راجع/ دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، ط/ دار الشروق – الأولىٰ ١٤١٤ه-١٩٩٤م،٢٦٤.

(٣) الأنواء: جمع نوء المطر وأصل النوء عند العرب سقوط نجم وطلوع نجم يقابله فسمي نوءا؛ لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع أي نهض، وعند سقوط النجم كان القوم ينتظرون هطول مطر أو هبوب رياح. راجع/ ديوان ابن خفاجة، شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، ط/ دار القلم – بيروت – لبنان، د.ت، ١٦.

فقد برز عنصر اللون والصوت عنصرًا أساسيًا من عناصر الصورة الفنية عنده؛ حيث وضحت الصورة البيانية مدىٰ قوة الشاعر وبراعته في التصوير الفني. فـ"الشاعر رسام، ريشته القلم، وأصباغه الكلمات، ومصدره بواطن النفس المليئة بالأسرار والمكتنزة بالأحلام، إنه يرسم المشاعر والعواطف كما يرسم مناظر الطبيعة الخلابة، وينثر الألوان والأصباغ علىٰ كل شيء، إنه يُلون ما لا يستطيع الرسام أن يلونه، ومن هنا تنشأ لدىٰ المتلقي إشكالية إدراك اللون وإيحاءاته "[١]

وكلما كانت الصلة بين الراثي والمرثي وثيقة متينة، كانت الحسرة عليه أشد، والفجيعة به أعظم. فلم يكونا ينفصلان في جزيرة شقر، فهو أخوه وصديقه وندا له، والأخوة هنا ليست أخوة النسب والدم، ولكن أخوة الصديق الصدوق، يقول فيه في قصيدة " موتك لأسىٰ ميلاد"[٢]:

فَـــذَّ، تَبَسَّـــمَ عَنـــهُ صَـــدرُ المُنتَـــدىٰ ... طَرَبًـــا بِـــهِ، وَاِهتَـــزَّتِ الأَنـــدادُ[٣]

وَأَخٌ لِـــــوُدّ، لا أَخٌ لـــــوِلادَةٍ، ... وَأَمَـــسُّ مِـــن نَسَـــبِ الـــوِلادِ وِدادُ

ومن" خصائص شعر ابن خفاجة كثرة الصور فيه، فالشاعر يتقن صنعته ويميل إلىٰ استنباط المعاني، والتجديد في الأداء، واستفراغ الطاقة في جعل النص كلا متكاملا من اللفظة المختارة إلي العبارة المحكمة، والمعاني الجديدة، أو المجددة، والصورة المتقنة، والتلقائية الواعية[٤]." ومن هنا نفهم عبارة ابن خلدون:(كان شيوخنا رحمهم الله

(١) اللون في شعر ابن زيدون، يونس شنوان، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٩٩م، إربد – اليرموك،١٢.

(٢) ديوان ابن خفاجة، د. عمر فاروق الطباع، ٧٥.

(٣) الفذ: الفرد، الأنداد جمع ند وهو المثل.

(٤) في الأدب الأندلسي، د. محمد رضوان الداية،١٢٦.

يعيبون شعر ابن خفاجة لكثرة معانيه، وازدحامها في البيت الواحد)[١]. ويُفهم من ازدحام المعاني كثرة الصور والأخيلة. وتؤدي الاستعارة دورًا مهمًا في الصورة الشعرية حيث إن الاستعارة هي الصورة التي تخلع فيها صفات وأسماء علىٰ أشياء لا يمكن أن تتناسب معها في الواقع.

وهو يتصنع لذلك في الرثاء كأن يقول:

في كُلِّ نادٍ مِنكَ رَوضُ ثَناءِ ... وَبِكُلِّ خَدٍّ فيكَ جَدوَلِ ماءِ

وَلِكُلِّ شَخصٍ هِزَّةُ الغُصنِ النَدي ... غِبَّ البُكاءِ وَرِنَّةُ المُكاءِ

ويرىٰ شوقي ضيف تصنعه في غرض الرثاء، حيث يقول: أرأيت إلىٰ هذا التصنع؟ لقد جعل ابن خفاجة الدموع السائلة علىٰ الخدود كأنها جداول ماء، كما شبه اضطراب الباكين وانسكاب دموعهم بهزة الغصن الذي غمرته أمطار السماء. ولم يكتف بذلك؛ بل راح يشبه أنينهم بصوت قُبَّرة تصفر وتصيح. وانظر كيف تصنع وكيف بالغ في تصنعه، حتىٰ اجتمعت له هذه الصور والخيالات، التي تتجمع حقًّا في الطبيعة؛ ولكن لا يمكن للحس الطبيعي أن يجمعها في رثاء. وعلىٰ هذا النمط كان ابن خفاجة يجمع بين التصنيع والتصنع في شعره، وإننا لنحس إزاءه ما أحسسناه عند سابقيه أمثال: ابن برد وابن زيدون من ضرب خواطره وأفكاره وصوره علىٰ النماذج المشرقية[٢]، ولاحظ ذلك ابن بسام في الذخيرة، فقرنه إلىٰ الشعراء العباسيين، واستخرج طرفًا من أبياته وأشعاره التي نقلها عنهم نقلًا كقوله:

---

(١) العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" تاريخ ابن خلدون"، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الأولىٰ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ج / ١، ٧٩١.

(٢) انظر/ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف، ٤٤٨-٤٤٩.

يـــا بـــدرَ تِـــمٍّ زارَني منـــه الهـــلال وقـــد تلـــثَّمْ

فقد أخذه لفظًا ومعنىٰ من قول الشريف الرضي[١]:

تلـــثَّم مرتابًـــا بفضـــلِ ردائِـــهِ فقلـــت هـــلالٌ بعـــد بـــدرِ تمـــامِ

ومن ذلك أيضًا قوله[٢]:

كـــأنني بعـــدكم شـــمالٌ قـــد فارقـــتْ مـــنكم يمينَـــا

وقد أخذه بلفظه ومعناه من قول ابن المعتز[٣]:

وإني وإيَّـــاك مثـــل اليـــدينِ ولكـــن لـــك الفضـــلُ أنـــت اليمـــينُ

ولا أريد أن أطيل الأمثلة؛ إنما المراد من ذكر الأدلة هذه الاستدلال علىٰ أن شعراء الأندلس لم يحاولوا الثورة علىٰ الأوضاع والأنماط العباسية فقد انساقوا يقلدون العباسيين ويحاكونهم، ولم يفكر أحد منهم في الخروج علىٰ هذا التقليد وتلك المحاكاة..[٤] اللهم إلا بعض الشعراء الذين تأثروا بالبيئة الأندلسية وطبيعتها، فألقت بظلالها الوارفة علىٰ أبيات قصائدهم.

"والمفروض أن كل صورة شعرية هي وليدة الخيال الشعري، والفن تركيب للعاطفة والصورة، أو بعبارة أخرىٰ أن الصورة هي وليدة العاطفة، وأن العاطفة بدون صورة عمياء، والصورة بدون عاطفة فارغة".[٥]

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج / ٦،٥٧٥.

(٢) ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ٣٤٠.

(٣) ديوان ابن المعتز، ط/ دار صادر– بيروت– ٤٤٠

(٤) انظر/ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، د. شوقي ضيف،٤٤٨-٤٤٩.

(٥) انظر/ دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، ٢٦٨.

وهنا نأتي إلى ينابيع الصورة عند ابن خفاجة:

ارتكزت الصورة عند ابن خفاجة في قصيدته هذه علىٰ عدة مؤثرات، فأقامت علاقة بين المشاعر المتدفقة والأشياء الملحوظة، وكانت منطلق لتحليق خيال الشاعر في عالم رحب من التصوير الفني، وهذا المعنىٰ هو ما نراه في مفهوم التصوير عند الجاحظ حين يقول:" فإنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[(١)]. ومن هذه الينابيع:

- **أولًا: الطبيعة:**

حيث" تُعد الطبيعة المصدر الرئيس لمكونات التصوير الفني في الشعر الأندلسي؛ لما تشتمل عليه من جمال جذاب من ناحية، وما يحيط بها من أسرار من ناحية أخرىٰ؛ لذلك كانت الطبيعة نبعًا لا يغيض ومعينًا لا ينضب للشعراء في كل زمان ومكان، كانت هي المحرك المؤثر لخيال الشاعر"[(٢)]. ويرىٰ (شيلينج) أن الخيال يستطيع أن يجمع صوره من الطبيعة، لكنه ليس جمعًا عشوائيًا أو تراكميًا، فإن الخيال لا يجمع ما في الطبيعة فحسب، ولا ينقله كما هو وإنما يحاول أن يخلع علىٰ ما هو متفرق في الطبيعة روحًا واحدًا، فإذا المتفرق في الطبيعة يصبح متكاملًا وموحدًا[(٣)] ومن هنا لا تكون الصورة الشعرية محاكاة لأشكال الطبيعة ومكوناتها وإنما تكون ابتكارًا لطبيعة جديدة ترىٰ وتسمع وتشعر

---

(١) الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون، ط/ مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، الثانية ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥م،ج ٣/ ١٣١.

(٢) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د. فوزي خضر، ط/ مؤسسة البابطين للإبداع الشعري- الكويت -٢٠٠٤م،١٦٨.

(٣) دراسات في النقد الأدبي المعاصر، د. محمد زكي العشماوي، ٢٥٧.

وتتحرك، وقد كانت الطبيعة نبعًا ثريًا استقىٰ منه ابن خفاجة صوره الفنية في قصيدته، إذ يقول في مطلعها:

في كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ
لِكُـــلِّ شَـــخصٍ هِـــزَّةُ الغُصـــنِ النَـــدي غِـــبَّ البُكـــاءِ وَرِنَّـــةُ المُكـــاءِ[1]

حيث يصور ابن خفاجة مرثية الوزير أبو محمد عبد الله بن ربيعة في قصيدته" في كُلِّ نادٍ مِنكَ" بأنه رَوضُ ثَناءٍ وجَدوَلِ مـــاءِ بمن يغدق العطايا والعطاء من غير بخل ولا تقتير.

ويصف المرثي بأنه غصن يهتز لكل شخص، وفيه بغية كل إنسان حتىٰ إنه يُطرب المحزون ويسلي الباكي. ونلاحظ أن الشاعر استخدم مفردات من الطبيعة مثل: نادٍ، ورَوضُ، وجَدوَلِ، ومـــاءِ، والغُصنِ، والنَدي، فصنع منها صورة فنية بديعة، وأضاف هِزَّةُ الغُصنِ النَدي التي يختص بها الإنسان. كأن ذوو المتوفىٰ يهتزون كالأغصان الندية من البكاء والدموع، وأصوات البكاء شبهها بتغريد وصفير المكَّاء وهي القبّرة.

---

(١) جنس طير من فصيلة القُبَّريَّات. بعض أنواعه صحراويّ وبعضها من طيور الشَّرق الأدنىٰ وأوروبّا ولها جميعها تصعيد في الجوّ وهبوط وهي في ذلك تمكو وتصفر. مخالبها نشيطة، حادَّة الأظافر تمكِّنها من احتفار التُّربة. الذي تم ذكره في سورة الأنفال هو طائر "المكاء" والذي جاء تحديدا ف في قول تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأنفال:٣٥]. وهنا جاء ذكر الطائر تشبيهًا لصلاة الكافرين من قوم قريش في البيت الحرام، حيث كانوا يقومون بالطواف بالصفير والتصفيق، وذلك لأن طائر المكاء من الطيور التي تعيش في الحجاز وله صوتٌ صفير، وكأن الله تعالىٰ قال لم يكن صوتهم إلا مكاء والتصديةُ هي التصفيق.

وي‌هيب الشاعر بالطبيعة أن تشاركه حزنه وألمه لفراق صديقه في صورة حية متدفقة فيقول:

فَإِذا مَرَرتُ بِمَعهَدٍ لِشَبيبَةٍ ... أَو رَسمِ دارٍ لِلصَديقِ خَلاءِ

جالَت بِطَرفي لِلصَبابَةِ عَبرَةٌ ... كَالغَيمِ رَقَّ فَحالَ دونَ سَماءِ[1]

فهو في هذا الموقف متأثر جدًا، تغرورق عيناه بالدموع التي تتحول إلىٰ حجاب كثيف يحول بين النظر والرؤية، وهذا أشبه ما يكون بالغيوم المتكاثفة لتحجب نور الشمس عن عيون الناظرين[2].

وتتضح - في هذه الصورة - قدرة ابن خفاجة التصويرية، حيث امتزجت الطبيعة وما تشتمل عليه من مكونات، بأحاسيسه المتأججة، فتوحدت مع عناصر الطبيعة وصارت أشخاصًا ترثي وتبكي.

وقداستخدم الشاعر مفردات الطبيعة التي تفيد رسم الصورة، فاستعمل الغمام للبكاء، وأنشأ علاقة بين سقوط الأمطار من الغمام وسقوط الدموع من العيون.[3]

تَتَفَرَّجُ الغَمّاءُ عَنهُ كَأَنَّهُ ... قَمَرٌ يُمَزِّقُ شَملَةَ الظَلماءِ

قاسَمتُ فيهِ الرُزءَ أَكرَمَ صاحِبٍ ... فَمَضىٰ يَنوءُ بِأَثقَلِ الأَعباءِ

ويسلو حزنه بأن يجعل القمر شريكًا له في حزنه الذي أورثه إياه الفقيد، وهذا القسط من الحزن يشكل عبئًا ثقيلًا يرزخ تحته القمر[4]

---

(١) ديوان ابن خفاجة، ١٧.

(٢) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين،٨٦.

(٣) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د. فوزي خضر، ١٧١.

(٤) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ٨٨.

وهكذا كانت الطبيعة نبعًا ثريًا استقىٰ منه ابن خفاجة قسمًا كبيرًا من صوره الفنية، حيث امتزجت تفاصيل الطبيعة بدقائق مشاعره، فإذا بها تشاركه آلامه ومعاناته لفقده صديقه، وتتوحد معه في منظومته الرائعة من خلال المشاركة الوجدانية.

ثانيًا: الزمن:

من ينابيع الصورة عند ابن خفاجة الزمن، وهو " مرتبط بحياة الإنسان ارتباطًا وثيقًا، ومرتبط بمشاعره فلا شيء أطول منه لمن ينتظر، ولا أسرع منه لمن هو في سرور ومتعة".[1] فقد مثل الزمن مصدر من مصادر الصورة عند ابن خفاجة في قصيدته، يقول:

فيمَ التَجَمُّلُ في زَمانٍ بَزَّني ثَوبَ الشَبابِ وَحيلَةَ النُبَلاءِ[2]

فقد استخدم لفظ الزمان وخلع عليه صفات إنسانية وهي السلب في كلمته " بزني" والبز هنا بمعنىٰ السلب، وهي من خصائص الكائن الحي، إذ يعتبر الزمان سلبه أعز شيء وأفضل إنسان لديه. كما يسخط علىٰ الزمان؛ لأنه يسلبه رداء الشباب وزينة النبلاء، مكنيًا بذلك عن رزئه بصديقه الوزير. ونلاحظ أن ابن خفاجة قد جعل من الزمان عنصرًا أساسيًا لبناء الصورة الفنية.

ويقول في موضع آخر من القصيدة موضحًا أن الفقيد كان ذخرًا لأيام الشدة والرخاء من خلال " ذُخري لِيَومِيَ":

وَخَرَرتُ بَينَ يَدَيهِ أَعلَمُ أَنَّهُ ذُخري لِيَومِيَ شِدَّةٍ وَرَخاءِ

فقد خلع الشاعر علىٰ الزمن صفات حية أثرت الصور الفنية في القصيدة.

---

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د. فوزي خضر،١٧١.

(٢) الحلية: ما يتزين به، بزني: سلبني.

- ثالثًا: المكان:

كان للمكان دور في تصوير مشاعر الشاعر الحزينة علىٰ فراق الصديق الصدوق، ويقول في القصيدة أبيات يَبُثُّ فيها أشجانه ومشاعره وأحاسيسه:

فَـــإِذا مَـــرَرتُ بِمَعهَـــدٍ لِشَـــبيبَةٍ ... أَو رَســـمِ دارٍ لِلصَـــديقِ خَـــلاءِ
جالَـــت بِطَـــرفي لِلصَـــبابَةِ عَبرَةٌ ... رَقَّ فَحـــــالَ دونَ سَـــــماءِ

استمرَّ ابن خفاجة، في وفائه لشبابهم، وتعلُّقه بمَعاهدهم، فجسمه في صُوَره، فأخذ في النحيب والتحسُّر والحنين، لخلاء رسم دار الصديق، وبِلَىٰ رسْمِه، واندثار معالمه وآثاره.[1] فجاءت الأبيات "بكاء علىٰ الشباب، وأسًىٰ علىٰ الديار، التي خَلَتْ مِن الفتاءة، والبهاء، إذْ صارت أجسادُ أحبائه أشلاءً، ثم تُرابًا، فدموعه إذًا لهيبُ نارِ الفراق، وجَوَىٰ دِيار الشباب والرفاق، وفي هذا ما يُوحي بوفائه، وحُبِّه لِرفاقه، ومَعاهد شبابه."[2] وكيف لا والفقيد سيد الفرسان، سباق إلىٰ حلبة الصراع، وبموته يجتاح الألم صدر الشاعر[3] حيث يقول:

وَبَسَـــطتُ في الغَبـــراءِ خَـــدّي ذِلَّـــةً ... أَســـتَنزِلُ الرُحمـــىٰ مِـــنَ الخَضـــراءِ
مُـــتَمَلمِلاً أَلَمًـــا بِمَصـــرَعِ سَـــيِّدٍ ... قَـــد كـــانَ ســـابِقَ حَلبَـــةِ النُجَبـــاءِ

- أنواع الصورة:

للصورة أنواع تنقل من خلالها تجربة الشاعر، وقد تنوعت الصورة في قصيدة ابن خفاجة تنوعًا متعددًا ومنها:

---

(١) انظر/ من شعر الغربة عن الوطن محمد حمادة إمام، بتاريخ ١٢/ ٨/ ٢٠١٧م
/ https://www.alukah.net/literature_language ١٤٣٨/١١/١٩ ه
١١٩٢٥٤/ ٠

(٢) المرجع نفسه.

(٣) راجع/ ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ٨٦.

- **الصورة البصرية(المرئية):**

الصورة البصرية من أهم الصور حيث تعتمد علىٰ حاسة البصر، وقد اعتمد عليها ابن خفاجة في قصيدته هذه؛ حيث يرسل الشاعر صورته كي يتخيلها المتلقي ـ مرئية أمامه فيتصور أنه يبصر تلك الصورة بكل جزئياتها، وقد بدأ ابن خفاجة قصيدته بصورة بصرية، فقال في مطلعها(١):

فِي كُلِّ نَادٍ مِنكَ رَوضُ ثَنَاءِ وَبِكُلِّ خَدٍّ فيكَ جَدوَلِ مَاءِ

وَلِكُلِّ شَخصٍ هِزَّةُ الغُصنِ النَدي غِبَّ البُكَاءِ وَرِنَّةُ المُكَاءِ

فقد صور كرم الممدوح وعطائه؛ فهو غصن يهتز لكل شخص، مما يجعله بغية لكل شخص، فيطرب المحزون، ويسلي المكروب، وقد ربط الصورة بمناظر الطبيعة المختلفة من الروض، وجدول الماء، والغصن، والندىٰ، ورنة الطائر. فالصور البصرية(المرئية) تتراكم في القصيدة "وواضح ما يتميز به شعر الطبيعة عند ابن خفاجة من بث العواطف والمشاعر في عناصر الطبيعة، بحيث يصبح لكل عنصر أحاسيسه التي يشترك بها مع غيره من العناصر(٢)".

"وتتراكم هذه الأحاسيس في شعره وتتراكم معها تصاوير الطبيعة، مما جعل بعض الأندلسيين من موطنه يعيب عليه كثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد، وهي ليست كثرة معان إنما هي كثرة تصاوير، وهي ليست عيبًا بل هي حسنته وفضيلته، إذ أحس بعناصر الطبيعة إحساسًا عميقًا، وهو إحساس تفرّد به لا بين شعراء الأندلس وحدهم بل بين شعراء العربية جميعًا، بحيث يعد أكبر شعراء الطبيعة عند العرب في مختلف عصورهم."(٣)

---

(١) ديوان ابن خفاجة، غازي، ١٧٨.

(٢) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، د. شوقي ضيف، ٣٢٠.

(٣) المرجع نفسه، ٣٢٠.

ويقول- مخاطبا صديقه- إن كل ناد تحول إلىٰ روض ثناء عليك وكل خد هطلت عليه الدموع الكثيرة حتىٰ استحال كل شخص بأنينه وانهمار دموعه إلىٰ ما يشبه هزة الغصن الندىّ ورنة طائر المكاء الصغير يبكي أليفته.[١]

فِي حَيــثُ يُطفَــأُ نــورُ ذاكَ المُجتَلــىٰ وَفِرِنــدُ تِلــكَ الغُــرَّةِ الغَــرّاءِ[٢]
وَكَفــىٰ اِكتِئابــا أَن تَعيــثَ يَــدُ البِلــىٰ فِي مَحــوِ تِلــكَ الصــورَةِ الحَســناءِ
فَلَطالَمــا كُنّــا نُــريحُ بِظِلِّــهِ فَنُــريحُ مِنــهُ بِسَــرحَةٍ غَنّــاءِ

تعتمد هذه الصورة علىٰ الرؤية فهو يقول: إن النور قد انطفأ، وبهت وجه الوزير الوضاح." بعد أن عاثت يد البلىٰ بتلك الصورة الحسناء فسكتت وصم نطقها، وأظلمت تلك السرحة التي طالما كنا نروح فيها عن أنفسنا عند كل هم وغم "[٣] فهي صورة فنية بديعة جعلت البصر وسيلتها للوصول إلىٰ المتلقي.

ثم يرسم ابن خفاجة صورة مجددة عن بشاشة وجه الممدوح التي تنفرج بها كل غم تمامًا مثل القمر الذي يجلي نوره ظلمة الظلماء فيقول:

فَتَقَــت عَلــىٰ حُكــمِ البَشاشَــةِ نورَهــا وَتَنَفَّسَــت فِي أَوجُــهِ الجُلَســاءِ
تَتَفَــرَّجُ الغَمّــاءُ عَنــهُ كَأَنَّــهُ قَمَــرٌ يُمَــزِّقُ شَــملَةَ الظَلمــاءِ

تعتمد صورة ابن خفاجة الآتية علىٰ الرؤية والبصر، فيقول إن الفقيد نجم ساطع وكوكب منير، فهو قلادة الجوزاء واحد من الكواكب الستة المعروفة بالقوس[٤]:

وَلَــئِن تَــراءىٰ الفَرقَــدانِ بِنــا مَعًــا وَكَفــاكَ شُــهرَةَ سُــؤدُدٍ وَعَــلاءِ

---

(١) انظر/ تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، د. شوقي ضيف، ٣٢١.

(٢) الفرند: جوهر السيف ووشيه، والسيف الفرند: الذي لامثيل له، واللفظة معرب" برند" الفارسية الغُرَّةِ الغَــــــــــرّاءِ: الطلعة الحسن.

(٣) ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ٨٧.

(٤) ديوان ابن خفاجة، د. عمر فاروق الطباع، ١٨.

فَلَطالَمـــا كُنّـــا نَـــروقُ المُجتَلـــي حُســـنًا وَنَمـــلَأُ نـــاظِرَ العَليـــاءِ

يُزهـــىٰ بِنـــا صَـــدرُ النَـــدِيِّ كَأَنَّنـــا نَسَـــقًا هُنـــاكَ قِـــلادَةُ الجَـــوزاءِ[1]

فقد سيطرت الصورة البصرية علىٰ قصيدة ابن خفاجة مما يوحي بأن البصر هو الأقرب إلىٰ المشاعر والعواطف والأحاسيس الإنسانية. فمما لا شك فيه أن الصدق الشعوري هو الذي يختار الطبيعة اللونية التي يمكن أن تصادف قبولًا نفسيًا عند الناس.

ولاكتمال عناصر الصورة لأبد من تكامل الدائرة بين أبيات الشاعر، والعواطف والمشاعر والأحاسيس، والمتلقي، مما ينتج عنه أن تتفق معه، كما اتفقت مع مشاعر وأحاسيس الشاعر. فالألوان تستخدم كوسائط للتعبَير عن انفعال، وليس لنسخ الطبيعة، "فالألوان مدركات ومثيرات حسية

– الصورة اللونية: الصور اللونية جزء من الصور البصرية؛ فاللون طاقة لا تكشفه إلا حاسة البصر، وقد أدت الصورة اللونية دورًا ليس بالقليل في قصيدة ابن خفاجة يقول[2]:

يـــامَطلَعَ الأَنـــوارِ إِنَّ بِمُقلَتـــي أَســـفًا عَلَيـــكَ كَمَنشَـــإِ الأَنـــواءِ

ومن الصور اللونية دلالة اللون الأخضر علىٰ الخصوبة والخير والكرم والنماء، قوله[3]:

وَبَسَـــطتُ في الغَبَـــراءِ خَـــدّي ذِلَّـــةً أَســـتَنزِلُ الرُحمـــىٰ مِـــنَ الخَضـــراءِ

(١) القلادة: ما يجعل في العنق من الحلي، وقوله قلادة الجوزاء: إشارة إلىٰ واحد من الكواكب الستة المعروفة بالقوس.

(٢) ديوان ابن خفاجة، ١٨.

(٣) ديوان ابن خفاجة، ١٦.

وقوله[١]:

في حَيــثُ يُطفَــأُ نــورُ ذاكَ المُجتَلــىٰ وَفِرِنــــدُ تِلــــكَ الغُـــرَّةِ الغَـــرّاءِ

وما يحسب إلي ابن خفاجة إقامته علاقة بين لونين، مما يوحي بتفرده في التعامل مع الألوان، فأبدع لغة خاصة في التعامل معها، وهذا ما منحته طبيعة بلاد الأندلس، بالإضافة إلىٰ الأثر النفسي المتمثل في التجربة الشعرية والمعاناة الداخلية من جانب آخر، ومن ذلك قوله في التضاد اللفظي بين القمر بنوره والظلماء بسوادها:[٢]

تَتَفَـــرَّجُ الغَمّـــاءُ عَنـــهُ كَأَنَّـــهُ قَمَـــرٌ يُمَـــزِّقُ شَـــملَةَ الظَلمـــاءِ

وقوله:[٣]

عَجَبـًا لَهـا وَقَـدَت بِصَـدرٍ جَمـرَةً وَتَفَجَّـرَت في وَجنَـةٍ عَـن مـاءِ

ومن هنا يتضح إن توظيف اللون في البيت الشعري ليس لتنميق الكلام فحسب، بل له ارتباط وثيق بالمستوىٰ البنيوي والبلاغي والتعبيري للنص الأدبي. مما سبق يتضح مدىٰ شعف ابن خفاجة في شعره بالطبيعة، ومدىٰ التزامه في معظم أبياته الشعرية باستعمال الألفاظ الدالّة علىٰ الألوان. ممّا جعل تسميته مبدعًا لنوع خاصّ من شعر الوصف باسم (اللونيّات).[٤] فتعامل مرة مع اللون بشكل حسي، وتارة بشكل معنوي، وتارة بالجمع بينهما.

---

(١)ديوان ابن خفاجة ، ١٧ .

(٢) المرجع السابق، ١٧ .

(٣) المرجع السابق، ١٨ .

(٤) راجع/ " الشاعر ابن خفاجة الاندلسي ليس من قبيلة خفاجة، بقلم، مجاهد منعثر منشد، ٩-٢-٢٠١٤م. https://www.yemeress.com/aljnoobmedia/524825#:~:text=%D8%

- **الصورة الحركية:**

من أنواع الصور الصورة الحركية عند ابن خفاجة في قصيدته:

وَكَفَـــىٰ أَســـىً أَن لاسَـــفيرٌ بَينَنَـــا يَمشـــي وَأَن لامَوعِـــدٌ لِلِقـــاءِ

فالفعل (يَمشي) يدل علىٰ الحركة، فالشاعر يخاطب نفسه قائلًا: إنه قد انقطع التواصل بينه وبين المرثي بكل الأشكال والأوضاع، فلا سفير يكون حلقة وصل، ولا موعد يأمل به لقاء، فالصورة دالة علىٰ الحركة في مجملها وفي تفاصيلها.

ومن صور الحركة في القصيدة[١]:

جالَـــت بِطَـــرفي لِلصَـــبابَةِ عَبـــرَةٌ كَـــالغَيمِ رَقَّ فَحـــالَ دونَ سَـــماءِ

حركة اغروراق العين بالدموع، ثم تحولها إلىٰ حجاب كثيف يحول دون الرؤية وبين جالت وحال حركة دائمة.

ومن الصور الحركية قوله[٢]:

وَرَفَعـــتُ كَفّـــي بَـــينَ طَـــرفٍ خاشِـــعٍ تَنـــدىٰ مَآقيـــهِ وَبَـــينَ دُعـــاءِ

وَبَسَـــطتُ في الغَبـــراءِ خَـــدّي ذِلَّـــةً أَســـتَنزِلُ الرُحمـــىٰ مِـــنَ الخَضـــراءِ

صورة حركية جميلة للخاشع المتذلل للخالق سبحانه، والمتوسل إلىٰ البارئ أن يساعده ويزيح عنه كابوس وفاة صديقه، بعد أن يصعر خده مذلة وخشوعا ليستنزل الرحمة من الله عبر عليائه.[٣]

---

(١) ديوان ابن خفاجة، ١٧.

(٢) ديوان ابن خفاجة، ١٧.

(٣) انظر/ ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس، د. حسن محمد نور الدين، ٨٦.

❖ **المعاني:**

التحرر من المعاني القديمة:

تحررت معاني قصيدة ابن خفاجة من معاني الشعر القديمة، حيث كانت معاني الشعر الأندلسي تتفق في ذلك الوقت مع البيئة المتحضرة، التي كانت سائدة في العصر الأندلسي، فضلًا عن مظاهر الغنىٰ والترف التي كان المسلمون يتمتعون بها في الأندلس، فجاءت معاني القصيدة واضحة صافية، رائقة، تعبر عن مكنونها، متوائمة مع ألفاظها، مواكبة لطبيعة الأندلس وشاعر طبيعتها .

❖ **الألفاظ والأساليب:**

الألفاظ مادة الأدب ووعاء الفكر والوسيلة التي يستخدمها الاديب، للتعبير بها عما يكنه في خاطره من معاني وأفكار، وقد اتسم المعجم اللفظي في همزية ابن خفاجة بالسلاسة والعذوبة، فضلًا عن معجمه اللفظي، الذي يعتمد بشكل كلي علىٰ وصف الطبيعة الأندلسية بشقيها:(الطبيعية- الصناعية)،مما يدل دلالة مؤكدة علىٰ مدىٰ تأثر الشاعر بالبيئة الأندلسية وطبيعتها الخلابة، ومن الفاظ القصيدة التي تظهر فيها معجمه الوصفي للطبيعة، قوله: رَوضُ ثَناءِ، جَدوَلِ ماءِ، الغُصنِ، النَدي، رِنَّة المُكاءِ، الأَنوارِ، الأَنواءِ، رَسم دار، خَلاء، الغَيم، سَماءِ، الغَبراءِ، الخَضراءِ، نورُ، الغُرَّةِ الغَرّاءِ، ظِلِّه، الغَمّاءُ، قَمَرٌ، الظَلماءِ، رِنَّةَ الوَرقاءِ، جَمرَةً، وَجنَةٍ، ماءِ، الفَرقَدانِ، قِلادَةُ الجَوزاءِ.

مما لا يمكن أن ينكر أثر الطبيعة الأندلسية في لغة شعره، فقد عكف الشاعر علىٰ معجم الطبيعة يسترفد منه أسلوبًا لا يخلو من الرقة والسهولة ظهر جليًا في قصيدته. ولعل السبب في سهولة الألفاظ ورقتها بيئة الأندلس المترفة، وحياتها الحضارية، ويمكن تقسيم ألفاظها إلىٰ:

- **ألفاظ الماء:**

جَدوَلِ - ماءِ - النَدي- الغَيمِ- سَماءِ- الأَنواءِ.

- ألفاظ الروض:

رَوضُ- الغُصنِ- الخَضـــراء- ظِلِّهِ-جنَةٍ.

- ألفاظ النور:

الأَنوارِ- نـورُ- الغُرَّةِ- قَمَرٌ- الظَلمـــاءِ- جَمرَةً.

ومن أساليب قصيدة ابن خفاجة أسلوب الاستفهام، فهو يقرر بأنه لامجال للتجمل، بعد أن خلع الزمان منه ثوب الشباب، وهو يلقىٰ السؤال، دون انتظار لجواب بقصد التخفيف من ألم الفرقة والغياب. فكان معنىٰ الاستفهام التقرير مقرونا بالحسرة، فيقول:

فـــيمَ التَجَمُّـــلُ فِي زَمـــانٍ بَـــزَّني ثَـــوبَ الشَـــبابِ وَحيلَـــةَ النُـــبَلاءِ

ومن أساليب القصيدة النداء الذي جاء ليوضح مكانة صديقه المرثي في نفسه، فهو مطلع أنوار يؤسف عليها في كل آن وحين فقال:

يـــا مَطلَـــعَ الأَنـــوارِ إِنَّ بِمُقلَتـــي أَسَـــفًا عَلَيـــكَ كَمَنشَـــإِ الأَنـــواءِ

ومن أساليب القصيدة الشرط الذي يبرهن علىٰ أن حزن فقد الأحبة بالموت، أكثر من حزن فقد الأحبة بالبعد.

فَـــإِذا مَـــرَرتُ بِمَعهَـــدٍ لِشَـــبيبَةٍ أَو رَســـمِ دارٍ لِلصَـــديقِ خَـــلاءِ

ويأتي أسلوب المبالغة ليظهر حزن الصديق علىٰ صديقه، فقد اغرورقت عيناه بالدموع التي تحولت إلىٰ حجاب كثيف يحول بين النظر والرؤية، وهذا أشبه ما يكون بالغيوم المتكاثفة لتحجب نور الشمس عن عيون الناظرين، يقول:

جالَـــت بِطَـــرفي لِلصَـــبابَةِ عَبـــرَةٌ كَـــالغَيمِ رَقَّ فَحـــالَ دونَ سَـــماءِ

وجاء أسلوب القسم بالرحمن في القصيدة ليوحي بمدىٰ مكانة الفقيد لدىٰ الشاعرفقد كان ذخره في الشدة قبل الرخاء.

لا وَالَّـــذي أَعلَقـــتُ مِـــن تَقديسِـــهِ كَفّـــي بِحَبلَـــي عِصـــمَةٍ وَرَجـــاءِ

وَخَـــرَرتُ بَـــينَ يَدَيـــهِ أَعلَـــمُ أَنَّـــهُ ذُخـــري لِيَـــومِيَ شِـــدَّةٍ وَرَخـــاءِ

❖ **التكرار:**

من الأساليب التي استعان بها ابن خفاجة في قصيدته(التكرار) فهو " من الأساليب اللغوية التي يمكن أن تؤدي في القصيدة دورًا تعبيريًا واضحًا، فتكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه علىٰ فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرىٰ."(١)

" ويقوم التكرار في القصيدة الحديثة بوظيفة إيحائية بارزة، وتتعدد أشكاله وصوره، بتعدد الهدف الإيحائي الذي ينوطه الشاعر به، وتتراوح هذه الأشكال ما بين التكرار البسيط الذي لا يتجاوز تكرار لفظة معينة أو عبارة معينة، بدون تغيير، وبين أشكال أخرىٰ أكثر تركيبًا وتعقيدًا يتصرف فيها الشاعر في العنصر المكرر بحيث تغدو أقوىٰ إيحاء."(٢)

وقد استخدم ابن خفاجة التكرار في القصيدة كوسيلة للتعبير عن حزنه وألمه علىٰ فراق صديقه، حيث كرر "كل" ثلاث مرات متتاليات، فساهم تكرارها في التعبير عن مدىٰ دوره في حياته وحياة كل من عرفه :

في كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ

وَلِكُـــلِّ شَـــخصٍ هِـــزَّةُ الغُصـــنِ النَـــدي غِـــبَّ البُكـــاءِ وَرِنَّـــةُ المُكـــاءِ

ثم كرر أن لا مرتين في بيت واحد" أن لا سَفير"، " أن لا مَوعِدٌ" وتكرارها يوحي بمدىٰ ارتباطه به ومدىٰ حنينه إليه فقال:

وَكَفـــىٰ أَســـىً أَن لاسَـــفيرٌ بَينَنـــا يَمشـــي وَأَن لامَوعِـــدٌ لِلِقـــاءِ

---

(١) عن بناء القصيدة العربية، د. علي عشري زايد، ط/ ابن سينا، الرابعة، ١٤٢٣ ه – ٢٠٠٢م، ٥٨.

(٢) عن بناء القصيدة العربية، د. علي عشري زايد، ٥٩.

ثم جاء تكرار إِلّا في بيت واحد لتعبر عن الاستثناء الذي يوحي بمدىٰ شوق الشاعر إلىٰ صديقه، وحنينه إليه، والتكرار هنا هو الوسيلة للتعبير عن مشاعر الشاعر، حيث أوحىٰ بمدىٰ ارتباط الشاعر بمرثيه.

فَعَريتُ إِلّا مِن قِناعِ كَآبَةٍ وَعَطِلتُ إِلّا مِن حُلِيِّ بُكاءِ

تكرار اللام في (لِشَبيبَةٍ) و(لِلصَديقِ) و(لِلصَبابَةِ) أوحي بمدىٰ براعة الشاعر في هذا العنصر المكرر؛ حيث شكل منها في كل مرة شيئًا جديدًا مختلفًا، ثم وحد بينها في المعنىٰ، فهذه التشكيلات وإن كانت منفصلة، إلا أنها تدور حول معنىٰ شعوري واحد وهو فقدان المرثي.

فَإِذا مَرَرتُ بِمَعهَدٍ لِشَبيبَةٍ أَو رَسمِ دارٍ لِلصَديقِ خَلاءِ

جالَت بِطَرفي لِلصَبابَةِ عَبرَةٌ كَالغَيمِ رَقَّ فَحالَ دونَ سَماءِ

تكرار (بَينَ) في قوله:

وَرَفَعتُ كَفّي بَينَ طَرفٍ خاشِعٍ تَندىٰ مَآقيهِ وَبَينَ دُعاءِ

لتدل علىٰ أن الإيمان والصبر والدعاء هم ملاذ المؤمن ليتقوىٰ بهم علىٰ مصيبته امتثالًا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة البقرة:٤٥].

وجاء تكرار الفعل (نُريحُ) للتأكيد والتقوية في قوله:

فَلَطالَما كُنّا نُريحُ بِظِلِّهِ فَنُريحُ مِنهُ بِسَرحَةٍ غَنّاءِ

تكرار بتصرف مختلف حيث تصرف ببراعة، فشكل منها شكلًا مختلف فقال:

يَهفو .... هَفَتِ وَيُرِنُّ .... رِنَّةَ

يَهفو كَما هَفَتِ الأَراكَةُ لَوعَةً وَيُرِنُّ طَورًا رِنَّةَ الوَرقاءِ

فالتكرار وسيلة للتعبير عن مدىٰ قلق الشاعر وحزنه لفقدان صديق جديد من أصدقائه.

ومن هنا تبرز خصائص أسلوب ابن خفاجة في القصيدة واضحة، فيظهر فيها لطافة العبارة ورقتها، فتجري بسلاسة ويسر، وعامة يبتعد الشاعر عن الغموض والخفاء والتعقيد.

❖ **الطباق:**

وظف ابن خفاجة الطباق في همزيته؛ لإبراز مدىٰ معاناته وتعبه، ومدىٰ الألم النفسي الذي ألم به بعد وفاة صديقه، فقد كانت وفاة الأصدقاء واحدًا تلو الآخر بمثابة مؤشر لعمر الشاعر وخاصة مع ترقبه لوفاة صديق بعد صديق، فكيف وهذا الصديق الصدوق رفيق الدرب، فالطباق بين شدة ورخاء يدل علىٰ مدىٰ حبه لمرثيه، فالشاعر قلق مضطرب بعد وفاته، فقد كان المتوفي ذخرًا له في الشدة والرخاء، وهذا التضاد يناسب مناخ الشاعر النفسي وتجربته الشعرية، مما قوىٰ المعنىٰ ووضحه .

وَخَـــرَرتُ بَـــينَ يَدَيـــهِ أَعلَـــمُ أَنَّـــهُ ذُخـــري لِيَـــومِيَ شِـــدَّةٍ وَرَخـــاءِ

في حَيـــثُ يُطفَـــأُ نـــورُ ذاكَ المُجتَلـــىٰ وَفِرِنـــدُ تِلـــكَ الغُـــرَّةِ الغَـــرّاءِ

فقد صور الشاعر بالطباق ما اختلج في نفسه، وما اعترىٰ حياته من انقسام، بعد موت صديقه فقد عاش معه حياة الرخاء والعطاء، وتبدلت الأمور بعد فقده.

❖ **المقابلة:**

"هي أن يؤتىٰ بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك علىٰ الترتيب"[(١)] أن يؤتىٰ بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها علىٰ الترتيب.

في كُـــلِّ نـــادٍ مِنـــكَ رَوضُ ثَنـــاءِ وَبِكُـــلِّ خَـــدٍّ فيـــكَ جَـــدوَلِ مـــاءِ

وقد جاءت الألفاظ مطابقة لمعانيها مطابقة تامة، فقد نجح الشاعر في اختيارها، كما يتوفر خطاب القصيدة علىٰ بعض المؤشرات الزمنية الدالة علىٰ الزمن الماضي،

(١) التلخيص في علوم البلاغة، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، شرح/ عبد الرحمن البرقوقي، ط/ دار الفكر العربي،٣٥٢.

التي يمكن استخلاصها انطلاقًا من الصيغ الزمنية للأفعال، حيث نجد أن أغلب الأفعال المتضمنة في خطاب القصيدة يندرج ضمن الزمن الماضي مثل : كَفىٰ، بَزَّني، عَريتُ، عَطِلتُ، مَـــرَرتُ، جالَت، رَقَّ، فَحـــالَ، رَفَعتُ، بَسَطتُ، كانَ، أَعلَقتُ، خَـرَرتُ، هَزَّني، حَلَّ، كُنّـا، نُريحُ، فَتَقَتَ، تَنَفَّسَت، قاسَمتُ، فَمَضىٰ، هَفَتِ، وَقَدَت، تَفَجَّرَت، تَراءىٰ، كَفـاكَ، كُنّا،

غير أن الزمن الحاضر تزامن مع الزمن الماضي، وإن لم يكن بنفس نسبة الفعل الماضي، والجدول الآتي يوضح نسبة الفعل الماضي للفعل المضارع:

م	الفعل الماضي	الفعل المضارع
١	كَفىٰ	يَمشي
٢	بَزَّني	تَندىٰ
٣	فعَريتُ	أَستَنزِلُ
٤	عَطِلتُ	يُطفَأَ
٥	مَـــرَرتُ	تَعيثَ
٦	جالَت	تَتَفَرَّجُ
٧	رَقَّ	يُمَزِّقُ
٨	فَحـــالَ	نُريحُ
٩	رَفَعتُ	فَنُريحُ
١٠	بسطت	يَنوءُ
١١	كانَ	يَهفـو
١٢	أَعلَقتُ	وَيُرِنُّ
١٣	خَـرَرتُ	نَروقُ
١٤	أَعلَمُ	نَملَأُ

م	الفعل الماضي	الفعل المضارع
١٥	هَزَّني	يُزهىٰ
١٦	حَلَّ	
١٧	وكَفىٰ	
١٨	كُنّـا	
١٩	فَتَقَت	
٢٠	وَتَنَفَّسَت	
٢١	قاسَمتُ	
٢٢	فَمَضىٰ	
٢٣	هَفَتِ	
٢٤	وَقَدَت	
٢٥	تَفَجَّرَت	
٢٦	تَراءىٰ	
٢٧	وَكَفـاكَ	
٢٨	كُنّا	

وقد زاوَجَ الشاعر في استخدامه للجملة الإسمية والفعلية، وذلك طبقًا للمعنىٰ الذي يريد تأكيده، وإن غلبت الجمل الإسمية الجمل الفعلية في قصيدة " في كُلِّ نادٍ مِنكَ":

وقد استخدم التصريع في مطلع القصيدة ليزيد من علو النغم، ويجذب المتلقي فقال:(١)

في كُـلِّ نـادٍ مِنـكَ رَوضُ ثَنـاءِ وَبِكُـلِّ خَـدٍّ فيـكَ جَـدوَلِ مـاءِ

(١) ديوان ابن خفاجة، ١٦.

- **الوزن:**

اختار الشاعر بحر الكامل بتفعيلته(**متفاعلن**) عن وعي لارتباط تفعيلاته بالمعنىٰ الذي أراده، فاختيار الشاعر لوزن القصيدة ينم عن وعي من قبل المبدع قبل البدء في العملية الإبداعية، وقد اعتمد علىٰ الوحدة الوزنية التي يتساوىٰ فيها عدد التفعيلات في صدر البيت وعجزه، فتساوت الأبيات وتفعيلاتها.

متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن

– – – هـ – هـ – – – هـ – هـ – – – هـ – هـ – – – هـ – هـ – – – هـ – هـ

وهي التفعيلات التامة، للبحر الكامل التام، فقد استخدم الشاعر طاقة البحر، فأخرج من القصيدة كنوزها النغمية، محققًا جمالًا موسيقيًا أخاذًا فيها. وهو من بحور الشعر العربيّ الصافية، وقد سُمِّي بهذا الاسم لاجتماع ثلاثين حركة فيه، وهو ما لم يكن لغيره من البحور، فسُمِّي بالكامل لِكَمال حركاته. كَمُل الجمالُ منَ البحورِ الكامل مُتَفَاعِلُن مُتَفاعلن مُتَفَاعِلُن

فالقصيدة عمودية ملتزمة بوحدة الوزن وأيضًا وحدة القافية.

القافية: هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر الأبيات، وتكرر في كل بيت من أبيات القصيدة، حيث تمثل جزءا مهما من أجزاء القصيدة الخارجية الموثرة في طبيعة القصيدة ومضمونها." فالعروض مرتبط بالقوافي كارتباط البدن بالقدمين، وهي تلزم العروضي والشاعر معرفتها.. وإذا جهلها الشاعر ضعف رصفه، وتهلهل نسجه، واختل نظمه، فربما نظم فخرج من ضرب إلىٰ ضرب آخر، وهو لا يعلم.[1]

(١)القوافي للإربلي تحقيق: أبي الحسن علي بن عثمان الإربلي، تحقيق: د. عبد المحسن فراج القحطاني، مراجعة: د. عمر خلوف، ط/ الشركة العربية للنشر والتوزيع الطبعة الأولىٰ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م، ٧٧.

" فاذا علم العروض والقوافي انبسط فهمه، واتسعت معرفته ومجاله، وثبتت قوافيه، فلم تقلق، وانقاد له جامع اللفظ فلم ينزق، فإن القافية من الأبيات بمنزلة الزجاج من الأنابيب."[١] فقد التزم ابن خفاجة في قصيدته هذه بروي واحد من بداية القصيدة لنهايتها، بمعنىٰ القالب الموحد، الذي التزم بالقافية الموحدة. وكانت القوافي عند العرب تعرف براويها فيقولون قافية دالية إذا كان الروي دال.

وقد اختار الشاعر هذه القافية بحرف الروي الهمزة المكسورة، وهي قافية مطلقة[٢]، لتناسب حالته النفسية، وتجربته الشعرية، وجاء اختياره لها لعلمه أنها من القوافي التي استحسنها الشعراء، ولسهولتها ويسرها. فالقافية عنصر مهم من عناصر الإيقاع الشعري، والتزام حركة واحدة تزيد من جمال الموسيقىٰ، وروعة الإيقاع. وقد جاءت الحركة التي قبل الروي حركة طويلة(متمثلة في ألف المد)، "ولا شك أن التزام حركة بعينها قبل الروي، مما يكسب القافية نغما وموسيقىٰ... وألف المد هي الوحيدة بين الحركات، التي إذا جاءت قبل الروي التزمت في كل الأبيات، لأنها أوضح كل الحركات في السمع"[٣]

عنوان القصيدة	الوزن	القافية
" فِي كُلِّ نادٍ مِنكَ"	بحر الكامل	الهمزة المكسورة

فقد استخدم ابن خفاجة بحر من بحور الخليل بن أحمد العروضية، والتزم بقافية واحدة .

(١) القوافي للإربلي تحقيق: أبي الحسن علي بن عثمان الإربلي،٧٧.

(٢) القافية المطلقة: هي التي يكون الروي فيها متحركًا. موسيقىٰ الشعر، د/ إبراهيم أنيس، ط/ مطبعة الأنجلو المصرية –القاهرة– الثانية ١٩٥٢م، ٢٥٨.

(٣) موسيقىٰ الشعر، د/ إبراهيم أنيس،٢٦٣.

مما سبق يتضح خصائص القصيدة الفنية عند ابن خفاجة وهي:

١- كانت الطبيعة نبعًا ثريًا استقىٰ منه ابن خفاجة قسمًا كبيرًا من صوره الفنية.

٢- غلبة الخيال الشعري علىٰ غرض الرثاء بصفة خاصة، والافتنان في أسلوبه افتنانًا يشهد له بالبراعة، وبمدىٰ تأثره بالطبيعة ومناظرها.

٣- سهولة ألفاظه وسلاستها، وعدم تحميل الألفاظ مالا تطيق، واتساق عباراته وانسجامها، ووضوح معانيه، ودقتها.

٤- استعانته بالاستعارات الغريبة، والكنايات العجيبة، وأنواع التشبيه.

٥- التمكن من الصورة الشعرية الجذابة بكل أشكالها، وإعمالها في أبيات القصيدة .

وبعد،، ستظل هذه القصيدة واحدة من أجمل القصائد التي كتبها ابن خفاجة، وهي ما تزال راسخة في أذهان الباحثين بسبب تأثيرها وعمق تشخيصها، إنها من عيون الشعر الأندلسي، التي يُمكن أن يتجاوزها كل من يتحدث عن الموت والحياة.

نتائج البحث

حاولت في هذا البحث الوقوف علىٰ عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة من خلال قصيدة "في كل نادٍ منك روض ثناء"، للتعرف علىٰ الخصائص المميزة لبعض العلاقات اللغوية داخل القصيدة، والتي تشكل سمات أسلوبية فيها، وخصائص تنفرد بها عن غيرها من قصائده. والوقوف علىٰ الخصائص المميزة لأسلوب ابن خفاجة في إبداعه من خلال تعامله المميز مع عناصر الإبداع الفني. وطريقته في خلق التفاعل المتكامل بين العناصر الإبداعية داخل النص.

فخرج البحث بالنتائج الآتية:

- كان الرثاء الأندلسي معظمه تقليدًا للرثاء المشرقي، والجديد فيه هو اختيار عناصر للصورة من طبيعة الأندلس التي فتنوا بها وتعبدوا في محرابها، كما ظهرت عند ابن خفاجة .

- مزج ابن خفاجة في قصيدته التي رثىٰ فيها الوزير أبي محمد عبد الله بن ربيعة بين وصف الطبيعة والرثاء، فدمج المرح والفرح بالحزن والبكاء. ويُعد أجرأ من أقدم علىٰ هذا الضرب الجديد من مزج الطبيعة بالرثاء.

- أسهمت بنية جمله(الإسمية والقولية والشرطية وفق حركة التركيب الرأسية) في تماسك النص وترابطه علىٰ مستوىٰ التركيب؛ لتوحي بعمق المعاني، وإثراء الدلالة، وإبراز وحدة المشهد، وهي دلالات أوضحها البحث في أماكنها.

- يمتاز شعر ابن خفاجة بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها في اللفظ، حتىٰ يحتاج في فهمها إلىٰ النظر والتأمل وإعمال العقل.

- التزام ابن خفاجة في معظم أبياته الشعرية باستعمال الألفاظ الدالّة علىٰ الألوان. ممّا جعل تسميته مبدعًا لنوع خاصّ من شعر الوصف باسم (اللونيّات).

- من عناصر الإبداع الفني في شعر ابن خفاجة التي ظهرت في قصيدته:

- طريقة البناء الفني لغرض النص الشعري.
- اختلاف المقدمة النصية ودلالتها الإبداعية.
- تميز الموضوع الشعري، وبراعته في عرضه.
- حسن التخلص بين غرضي القصيدة .

إلىٰ هنا؛ أرجو أن أكون قد وفقت في رسم صورة واضحة تبين عناصر الإبداع في النص الشعري عند ابن خفاجة من خلال قصيدة "في كل ناد منك روض ثناء" أنموذجًا

وبعد:

فلعلي أكون قد هديت إلىٰ الصواب فيما كتبت، ولعلي أكون قد أعطيت شعر ابن خفاجة من خلال قصيدته بعض ما يستحق من بحث وعناية ذلك ما أتمناه، كما أسأل الله الكريم أن يهب ذلك المجهود من القبول ما أرجوه له، إنه -ﷻ- ولي ذلك والقادر عليه.

ملحق بنص القصيدة:

في كُـلِّ نـادٍ مِنـكَ رَوضُ ثَنـاءِ ... وَبِكُـلِّ خَـدٍّ فيـكَ جَـدوَلِ مـاءِ
وَلِكُـلِّ شَـخصٍ هِـزَّةُ الغُصـنِ النَـدي ... غِـبَّ البُكـاءِ وَرِنَّـةُ المُكـاءِ
يـامَطلَعَ الأَنـوارِ إِنَّ بِمُقلَتـي ... أَسَـفًا عَلَيـكَ كَمَنشَـإِ الأَنـواءِ
وَكَفـىٰ أَسـىً أَن لاسَـفيرٌ بَينَنـا ... يَمشـي وَأَن لامَوعِـدٌ لِلِقـاءِ
فـيمَ التَجَمُّـلُ في زَمـانٍ بَـزَّني ... ثَـوبَ الشَـبابِ وَحيلَـةَ النُـبَلاءِ
فَعَريـتُ إِلّا مِـن قِنـاعِ كَآبَـةٍ ... وَعَطِلـتُ إِلّا مِـن حُلِـيِّ بُكـاءِ
فَـإِذا مَـرَرتُ بِمَعهَـدٍ لِشَـبيبَةٍ ... أَو رَسـمِ دارٍ لِلصَـديقِ خَـلاءِ
جالَـت بِطَـرفي لِلصَـبابَةِ عَبـرَةٌ ... كَـالغَيمِ رَقَّ فَحـالَ دونَ سَـماءِ
وَرَفَعـتُ كَفّـي بَـينَ طَـرفٍ خاشِـعٍ ... تَنـدىٰ مَآقيـهِ وَبَـينَ دُعـاءِ
وَبَسَـطتُ في الغَبـراءِ خَـدّي ذِلَّـةً ... أَسـتَنزِلُ الرُحمـىٰ مِـنَ الخَضـراءِ
مُـتَمَلمِلاً أَلَمًـا بِمَصـرَعِ سَـيِّدٍ ... قَـد كـانَ سـابِقَ حَلبَـةِ النُجَبـاءِ
لا وَالَّـذي أَعلَقـتُ مِـن تَقديسِـهِ ... كَفّـي بِحَبلَـي عِصـمَةٍ وَرَجـاءِ
وَخَـرَرتُ بَـينَ يَدَيـهِ أَعلَـمُ أَنَّـهُ ... ذُخـري لِيَـومِيَ شِـدَّةٍ وَرَخـاءِ
لا هَـزَّني أَمَـلٌ وَقَـد حَـلَّ الـرَدىٰ ... بِـأَبي مُحَمَّـدٍ المَحَـلَّ النـائي
في حَيـثُ يُطفَـأُ نـورُ ذاكَ المُجتَلـىٰ ... وَفِرنـدُ تِلـكَ الغُـرَّةِ الغَـرّاءِ
وَكَفـىٰ اِكتِئابـاً أَن تَعيـثَ يَـدُ البِلـىٰ ... في مَحـوِ تِلـكَ الصـورَةِ الحَسـناءِ
فَلَطالَمـا كُنّـا نُـريحُ بِظِلِّـهِ ... فَنُـريحُ مِنـهُ بِسَـرحَةٍ غَنّـاءِ
فَتَقَـت عَلـىٰ حُكـمِ البَشاشَـةِ نورَهـا ... وَتَنَفَّسَـت في أَوجُـهِ الجُلَسـاءِ
تَتَفَـرَّجُ الغَمّـاءُ عَنـهُ كَأَنَّـهُ ... قَمَـرٌ يُمَـزِّقُ شَـملَةَ الظَلمـاءِ
قاسَـمتُ فيـهِ الـرُزءَ أَكـرَمَ صـاحِبٍ ... فَمَضـىٰ يَنـوءُ بِأَثقَـلِ الأَعبـاءِ
يَهفـو كَمـا هَفَـتِ الأَراكَـةُ لَوعَـةً ... وَيُـرِنُّ طَـورًا رِنَّـةَ الوَرقـاءِ

عَجَبـــًا لَهـــا وَقَـــدَت بِصَـــدرٍ جَمـــرَةً ... وَتَفَجَّـــرَت فِي وَجنَـــةٍ عَـــن مـــاءِ
وَلَـــئِن تَـــراءىٰ الفَرقَـــدانِ بِنـــا مَعـــًا ... وَكَفـــاكَ شُـــهرَةَ سُـــؤدُدٍ وَعَـــلاءِ
فَلَطالَمـــا كُنّـــا نَـــروقُ المُجتَلـــي ... حُســـنًا وَنَمـــلَأُ نـــاظِرَ العَليـــاءِ
هـــىٰ بِنـــا صَـــدرُ النَـــدِيِّ كَأَنَّنـــا ... نَســـقًا هُنـــاكَ قِـــلادَةُ الجَـــوزاءِ

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- **ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس**، د. حسن محمد نور الدين، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الأولىٰ ١٤١١ه- ١٩٩٠م.

٢- **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، د. مصطفىٰ الشكعة، ط/ دار العلم للملايين- بيروت- الرابعة، ١٩٧٩م.

٣- **الأدب العربي في الأندلس**، عبد العزيز محمد عيسىٰ، ط/ مطبعة الاستقامة، د. ط، د.ت.

٤- **الأعلام**، خير الدين الزركلي، ط/ دار العلم للملايين- بيروت- لبنان، السابعة،١٩٨٦م.

٥- **بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس**، أحمد بن يحيىٰ بن أحمد بن عميرة الضبي، ط/ دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

٦- **بلاغة العرب في الأندلس**، د. أحمد ضيف، ط/ دارالمعارف للطباعة والنشر، الأولىٰ ١٩٢٤م.

٧- **تاريخ ابن خلدون"**، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الأولىٰ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

٨- **تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين**، د/ إحسان عباس، ط/ دار الشروق، عمان، الأولىٰ ١٩٩٧ م.

٩- **تاريخ الأدب العربي**، أحمد حسن الزيات، دلهي: مطبعة فيصل، د. ت

١٠- **تاريخ الأدب العربي**، د. عمر فرّوخ، ط/ دار العلم للملايين- بيروت – الرابعة ١٩٨١م.

١١- **تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس**، د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف – القاهرة- د- ت.

١٢- **التلخيص في علوم البلاغة**، الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، شرح/ عبد الرحمن البرقوقي،ط/ دار الفكر العربي.

١٣- **الحيوان**، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح /عبد السلام محمد هارون، ط/ مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، الثانية ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥م.

١٤- **دراسات في النقد الأدبي المعاصر**، د. محمد زكي العشماوي، ط/ دار الشروق – الأولىٰ ١٤١٤ه-١٩٩٤م.

١٥- **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق د. السيد مصطفىٰ غازي، ط/ منشأة المعارف – الإسكندرية- ١٩٦٠م.

١٦- **ديوان ابن خفاجة**، شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع، ط/ دار القلم – بيروت – لبنان، د.ت.

١٧- **ديوان أبي فراس الحمداني**، جمعه، سامي الدهان،١٣٦٣ه- ١٩٤٤م، ط/ المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية – بيروت-

١٨- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، أبو الحسن علي ابن بسام الشنتريني، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة -١٣٥٨ه-١٩٣٩م.

١٩- **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط/ دار الثقافة – بيروت- لبنان.

٢٠- **رثاء النفس في الشعر الأندلسي**، د. مقداد رحيم، ط/ جهينة للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، ١٤٣٣ه-٢٠١٢م.

٢١- **الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه**، عربه عن الإسبانية حسين مؤنس، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة- الأولىٰ ١٩٥٢م.

٢٢- **الصورة في الشعر العربيّ حتّى آخر القرن الثالث الهجريّ: دراسة في أصولها وتطوّرها**، د/ علي البطل، ط/ دار الأندلس- بيروت- الثانية، ١٤٠١ه - ١٩٨١م.

٢٣- **العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مِن ذوي السلطان الأكبر" تاريخ ابن خلدون"**، عبد الرحمن بن خلدون

(٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الأولىٰ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٢٤- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه، باب المبدأ والخروج والنهاية**، أبو علىٰ الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق. محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ دار الجيل، الخامسة،١٤٠١ هـ -١٩٨١م.

٢٥- **عن بناء القصيدة العربية**، د. علي عشري زايد، ط/ ابن سينا، الرابعة، ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٢م.

٢٦- **عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون**، د. فوزي خضر، ط/ مؤسسة البابطين للإبداع الشعري- الكويت -٢٠٠٤م.

٢٧- **عيار الشعر**، محمد أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق د. طه الحاجري، د. محمد زغلول سلام، ط/ دار الكتب العلمية -بيروت - لبنان، الثانية ١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م.

٢٨- **الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي**، د/ فاضل فتحي محمد والي، ط/ دار الأندلس للنشر والتوزيع- المملكة العربية السعودية- الأولىٰ ١٤١٧ه- ١٩٩٦م.

٢٩- **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف - القاهرة - الحادية عشرة، ١٩٨٧م.

٣٠- **في الأدب الأندلسي**، د. جودت الركابي، ط/ دار المعارف - مصر- الثانية ١٩٦٦م.

٣١- في **الأدب الأندلسي**، د. محمد رضوان الداية، ط/ دار الفكر المعاصر - دمشق- الأولىٰ ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

٣٢- **في النقد الأدبي**، د/ شوقي ضيف، ط/ دار المعارف - القاهرة- التاسعة، ٢٠٠٤م.

٣٣- **قلائد العقيان ومحاسن الأعيان**، أبي الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي، الشهير بابن خاقان، حققه وعلق عليه د. حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار – الأردن- ط/ الأولىٰ ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩م.

٣٤- **قلائد العقيان في محاسن الرؤساء والقضاة والكتاب والأدباء والأعيان**، أبو نصر الفتح بن خاقان، تحقيق : حسين يوسف، ط/ الأولىٰ المطبعة الأميرية – بولاق، ١٢٨٤ هـ – ١٨٦٦ م.

٣٥- **القوافي للإربلي** تحقيق: أبي الحسن علي بن عثمان الإربلي، تحقيق: د. عبد المحسن فراج القحطاني، مراجعة: د. عمر خلوف، ط/ الشركة العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٣٦- **اللون في شعر ابن زيدون**، يونس شنوان، منشورات جامعة اليرموك، ١٩٩٩م، إربد – اليرموك.

٣٧- **المغرب في حلى المغرب**، حققه وعلق عليه/ د. شوقي ضيف، ط/ دار المعارف – مصر- ط/ الثانية، ١٩٦٤م.

٣٨- **ملامح الشعر الأندلسي**، د. عمر الدقاق، دار الشرق - بيروت- د. ط، د.ت.

٣٩- **من حديث الشعر والنثر**، د. طه حسين، ط/ دار المعارف – مصر- د.ت.

٤٠- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط دار الغرب الإسلامي بيروت، الثالثة، ١٩٨٦م.

٤١- **الموازنة بين الشعراء**، د/ زكي مبارك، ط/ مؤسسة هنداوي،٢٠١٧م.

٤٢- **موسوعة تاريخ الأدب والنقد والحكمة العربية في العصر الأموي في الأندلس**، حسين علي الهنداوي، ب. ت، ب. ط.

٤٣- **موسيقى الشعر**، د/ إبراهيم أنيس، ط/ مطبعة الأنجلو المصرية –القاهرة- الثانية ١٩٥٢م .

٤٤- **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، صلاح فضل، ط/ دار الشروق، ١٤١٩ه- ١٩٩٨م.

٤٥- **النقد الأدبي الحديث**، د. محمد غنيمي هلال، ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- ١٩٩٧م.

٤٦- **نقد القصيدة العربية**، السيد فضل، ط/ منشأة المعارف – الإسكندرية- د- ت.

٤٧- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكرابن خلكان البرمكي الإربلي(ت ٦٨١ هـ)، تحقيق/ إحسان عباس دار صادر- بيروت، ط/ ١٩٠٠ م.

- **ثانيًا: الرسائل العلمية:**

- **الصورة الفنية في شعر ابن خفاجة الأندلسي**: مقاربة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة وهران- الجزائر- كلية الآداب اللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، الباحثة/ عبد ربىٰ نوال، إشراف/ د. حسن بن مالك، ٢٠١٠-٢٠١١م.

- **المراجع الإلكترونية:**

- **الشاعر ابن خفاجة الأندلسي ليس من قبيلة خفاجة**، بقلم، مجاهد منعثر منشد،٩-٢-٢٠١٤م

- https://www.yemeress.com/aljnoobmedia/524825#:~:text=%D8%

- ١١٩٢٥٤/٠

- **من بستان الشعر الأندلسي**.. ابن خفاجة نموذجًا، فاروق شوشة - مجلة العربي

- http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=1273

- **الشعر الأندلسي بين التقليد والتجديد**، د. حسن جاد حسن، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، العدد الأول- ١٤٠٢ه-١٩٨٣م.

https://journals.ekb.eg/article_13074_6598453bb1a95347aa0fe7ab769f418a.pdf

- **قراءة في كتاب الادب العربي في الاندلس**، للدكتور علي محمد سلامة واثق/ الواثق

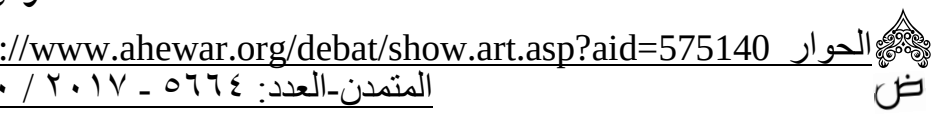
الحوار المتمدن-العدد: ٥٦٦٤ - ٢٠١٧ / ١٠ / ٩ https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=575140

- **تحليل قصيدة ابن خفاجة في وصف الجبل**، خلود المعاويد، ٧ أغسطس ٢٠٢٣https://mawdoo3.com

- ١١٩٢٥٤/٠

- من **شعر الغربة عن الوطن** محمد حمادة إمام الإضافة ٢٠١٧/ ٨ / ١٢: م ١٤٣٨/١١/١٩ ه –https://www.alukah.net/literature_language /

- من **شعر الغربة عن الوطن**، محمد حمادة إمام، بتاريخ ١٢/ ٨/ ٢٠١٧م- ١٤٣٨/١١/١٩ ه https://www.alukah.net/literature_language / ابن خفاجةhttps://arab-ency.com.sy/ency/details/4052/8